٥

الإيمان برسل الله عامة وبخاتمهم محمد ﷺ خاصة

أولًا: الإيمان برسل الله عامة

ثانيًا: الإيمان بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء ورسول الإنسانية

ثالثًا: ثمرات الإيمان برسل الله عامة وبخاتمهم محمد ﷺ خاصة

رابعًا: تربية الأبناء على الإيمان برسل الله عامة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس
الإيمان برسل الله عامة وبخاتمهم محمد ﷺ خاصة

مقدمة:

الإيمان برسل الله يعنى التصديق الجازم بأن الله بعث فى كل أمة رسولًا منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما يُعبد من دونه، وأنهم جميعًا صادقون مصدقون، راشدون، كرام، بررة، أتقياء، أمناء، هداة، مهتدون، وأنهم بلغوا رسالاتهم، وأنهم أفضل الخلق، وأنهم منزهون عن الإشراك بالله منذ ولادتهم وحتى موتهم[١٠٥]. والاعتقاد ببعثة الرسل ركن من أركان الإيمان.

هؤلاء الرسل منهم من قص القرآن قصته وعرف به، ومنهم من لم يقصص. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر:٧٨]. وكلًا من هؤلاء أرسل إلى قومه خاصة إلا محمدًا ﷺ أرسل للناس كافة ولكل العالمين.

ويمكن تناول ذلك الركن من أركان العقيدة فى أربع نقاط، هى:

- الإيمان برسل الله عامة.
- الإيمان بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء ورسول الإنسانية.
- ثمرات الإيمان برسل الله عامة وبخاتمهم محمد ﷺ خاصة.
- تربية الأبناء على الإيمان برسل الله عامة وبخاتمهم محمد ﷺ خاصة.

أولاً: الإيمان برسل الله عامة:

فى إيمان رسل الله وأتباعهم بما أنزل من كتب الله على من سبقوهم بالرسالة، إيمان بهؤلاء المرسلين السابقين... وقد سبقت الإشارة- كما جاء بالركن الثالث الإيمان بالكتب السماوية- إلى إيمان موسى بعهد الله مع آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإيمان أنبياء بنى إسرائيل بالتوراة، ثم إيمان عيسى بما أنزل على موسى وعلى النبيين، وما أنزل عليه هو فى الإنجيل.

والإيمان برسل الله وبعثتهم ركن من أركان العقيدة الإسلامية، التى لا يصح إيمان العبد إلا باستكمالها جميعًا، لأن الاعتقاد بالله سبحانه يقتضى الإيمان برسله، لأنهم المبلغين عنه والمنيرين سبل السلام والهداية إلى الخير والرشاد بما ائتمنوا على حمله من الرسالات؛ لذلك أكد المولى على الإيمان بكل رسله دون تفرقة بين أحد من رسله،

فقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(البقرة:٢٨٥).

فالمسلم مطالب بالإيمان برسل الله إجمالًا وتفصيلًا... ومعنى الإيمان بالرسل إجمالًا: أن يؤمن المرء بكل الأنبياء والمرسلين، ممن عرَّف الله نبوتهم ورسالاتهم، وممن لم يعرِّف، فيؤمن إيمانًا إجماليًّا، ومعنى الإيمان بالرسل تفصيلًا: أن يؤمن المرء بكل نبى ورسول عرف نبوته ورسالته عن طريق الوحى إيمانًا تفصيليًّا. فمن عرفهم بأسمائهم آمن بهم واحدًا واحدًا على التفصيل، ولا يؤمن برسالة بعض ويكفر برسالة بعض آخر. إذ الكفر بواحدٍ منهم يعتبر كفرًا بجميعهم(١٠٦).

وقد ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًّا ورسولًا منهم ثمانية عشر قد ذُكروا فى قوله تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(الأنعام: ٨٣ -٨٦). وذكر السبعة الباقين مفرقين فى عدة سور من القرآن الكريم، وهم: آدم، وإدريس، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفلِ، وخاتمهم محمد ﷺ(١٠٧).

هؤلاء ما ورد ذكرهم من المرسلين فى القرآن الكريم، ومنهم من لم يرد ذكره، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾(غافر:٧٨).

فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لمَّا عُبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس فى الضلالة والكفر. فبعثه الله رحمةً للعباد فكان أول رسول بُعث إلى أهل الأرض[١٠٨]. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَّ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الأعراف: ٥٩-٦٢).

وإبراهيم عليه السلام آتاه الله رشده فى صغره، وابتعثه رسولًا واتخذه خليلًا فى كبره[١٠٩]. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ﴾(الأنبياء:٥١)، أى كان أهلًا لذلك، وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَّ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهَّ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهَّ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللهَّ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(العنكبوت: ١٦-١٨).

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا

النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾(الحديد:٢٦). فكل كتاب أنزل من السماء على نبى من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته[١١٠]. كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داود وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(الأنعام:٨٤-٨٦).

فوُلد لإبراهيم، عليه السلام ولدان ذكران عظيمان إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة، وولد لإسحاق يعقوب– وهو إسرائيل– الذى ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النبوة، وكثروا جدًا بحيث لا يعلم عددهم إلا الذى بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة، حتى خُتموا بعيسى بن مريم من بنى إسرائيل. أما إسماعيل عليه السلام، فكانت منه العرب على اختلاف قبائلهم، ولم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم، وفخر بنى آدم فى الدنيا والآخرة، محمد بن عبد الله ﷺ[١١١].

وموسى عليه السلام رسول الله إلى بنى إسرائيل، والتوراة هو الكتاب الذى أنزل عليه. فجاء بالتوراة قول المولى سبحانه لموسى بالأرض المقدسة: [أنا إله أبيك، إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب]. ثم قال: [فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون، وتخرج شعبى بنى

إسرائيل من مصر]. فقال موسى كليم الله سبحانه: [ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم: إله آبائكم أرسلنى إليكم][خر٣: ٦، ١٠، ١٣]. وقد أكد المولى سبحانه ذلك فى قرآنه الكريم حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ...﴾(الصف:٥).

وعيسى عليه السلام رسول الله إلى بنى إسرائيل، والإنجيل هو الكتاب الذى أنزل عليه. ففى إنجيل متى البشارة لبيت لحم اليهودية بمولد عيسى بها، ليكون رسولًا إلى بنى إسرائيل: [وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل][مت٦: ٢]. كما جاءت بإنجيل لوقا البشارة لمريم بولادته: [وها أنت ستحبلين وتلدين ابنًا وتسميه يسوع... ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد][لوقا١: ٣١- ٣٣]. أى على بنى إسرائيل. ثم جاء كلام يسوع فى صلاته وهو رافع عينيه نحو السماء قائلًا: [...أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته][يو١٧: ٣]، أى إن عيسى عليه السلام هو رسول الله إلى بنى إسرائيل ورسالته إليهم خاصة. وقد أكد الحق تبارك وتعالى ذلك فى قرآنه المجيد، حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم﴾(الصف:٦).

أما خاتم الأنبياء والمرسلين فهو محمد بن عبد الله ﷺ الذى أُرسل

للناس أجمعين. والكتاب الذى أنزل عليه هو القرآن الكريم... والصفحات التاليات توضح بالأدلة النقلية (من التوراة وما بعدها، والإنجيل، ومن القرآن الكريم) وبالأدلة العقلية صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: الإيمان بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء ورسول الإنسانية

يتناول هذا المحور الإيمان بنبوة محمد ﷺ وحمله للرسالة الخاتمة لكل البشرية، فى أربع نقاط:

- البشارة به فى الكتاب المقدس فى عهديه القديم والجديد.
- خاتم الأنبياء ورسول الإنسانية فى القرآن الكريم.
- الأدلة العقلية الدالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.
- ترسيخ محبته صلى الله عليه وسلم.

١ - البشارة به فى الكتاب المقدس فى عهديه القديم والجديد:

وردت البشارات بمقدمه ﷺ فى الكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد) فى عدة مواقع، يورد الكاتب منها سبعًا، وهى كما يلى:

البشارة الأولى: البشارة بالنبى الأمى ﷺ - فى التوراة:

جاءت البشارة فى سفر التثنية بالتوراة على لسان موسى عليه السلام، وتحت عنوان: [النبى]. وهذا نصها: [يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك

من إخوتك مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع... قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك. وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع كلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه. وأما النبى الذى يطغى، فيتكلم باسمى كلامًا لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبى. وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى][تث١٨: ١٥-٢٢].

ومع نص البشارة إحدى عشرة وقفة:

الوقفة الأولى: أن هذه البشارة جاءت فى شكل وصية قدمها الحق تبارك وتعالى على لسان موسى عليه السلام، بكل أسباط بنى إسرائيل [يقيم لك الرب إلهك] أى يا إسرائيل. وجاءت الوصية حسب كلام الله [فى حوريب يوم الاجتماع] بكل بنى إسرائيل [تث٥: ١-٣٣]. فكانت الوصية عامة لكل بنى إسرائيل.

الوقفة الثانية: أن النبى الموعود به هو من إخوة بنى إسرائيل وليس منهم. حيث قال سبحانه: [أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم]، ولم يقل: منهم، أو من بينهم، أو من وسطهم أو من أنفسهم، أو من نسلهم. كما

قال: [أقيم لهم] ولم يقل: فيهم. وقال: [من وسط إخوتهم]، وليس فى وسط إخوتهم.

أما عبارة [من وسطك] التى جاءت بالآية الأولى، فيدركها القارئ أنها ليست من أصل النص وملحقة به. لعدم استقامة المعنى [من وسطك من إخوتك] وإلا لما كان هناك داعٍ لورود عبارة [من إخوتك]، هذا من جهة. ومن جهة ثانية، لعدم ورودها بالآية التى نقلها موسى عليه السلام عن ربه للتأكيد على صحة قوله، فجاء قول الله: [أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم] ولا وجود بها لعبارة [من وسطك]. ومن جهة ثالثة: أن أحد تلاميذ المسيح – وهو بطرس – نقلها فى خطبته كما جاءت بأعمال الرسل، حيث قال: [فإن موسى قال للآباء: إن نبيًّا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم][أع٣: ٢٢]، مما يدل على أن عبارة [من وسطك] ليست من أصل النص.

والسؤال الآن: من هم إخوة بنى إسرائيل الذين سيقيم الله من وسطهم النبى الموعود به؟

معلوم أن أبناء إبراهيم هم إسماعيل من هاجر المصرية، وإسحاق من سارة الذى أنجب يعقوب (وهو إسرائيل) وعيسو (الذى تسميه العرب العيص). ثم أبناؤه الستة من زوجته قطورة التى تزوجها بعد موت سارة، فولدت له: [زمران، ويقشان، ومدان، ومديان، ويشباق،

وشوحًا][تك٢٥: ٢]. ثم تزوج بعدها "حجور بنت أرهير، فولدت له خمسة بنين: كيسان، وشورخ، وأميم، ولوطان، ونافس"[١١٢].

فأخوة بنى إسرائيل هم: بنو إسماعيل وهم العرب، حيث جاء فى سفر التكوين فى بشارة هاجر بإسماعيل: [فتلدين ابنًا وتدعين اسمه إسماعيل... وأمام جميع إخوته يسكن][تك١٦: ١٢]. وجاء عنه أيضًا: [أمام جميع إخوته نزل][تك٢٥: ١٨].

وأخوة بنى إسرائيل – أيضًا – هم بنو عيسو وهم الروم. حيث جاء سفر التثنية: [وأوصِ الشعب قائلًا: أنتم مارون بتخم إخوتكم بنى عيسو الساكنين فى سعير][تث٢:٤]. وجاء:[فعبرنا عن إخوتنا بنى عيسو الساكنين فى سعير][تث٢:٨].

ولكن لم يأتِ من بنى عيسو أنبياء سوى أيوب، وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وكان نبيًّا فى عهد يعقوب[١١٣]. وقيل: إن الله عز وجل بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبينًا، وسماه ذا الكفل[١١٤]. وكليهما قبل موسى.

وكذلك إخوة بنى إسرائيل هم نسل أبناء إبراهيم لآخرين من زوجتيه قطور ومجور. ومنهم أهل مدين، وهم من العرب العاربة الذين سكنوا مدينتهم التى عرفت باسمهم، فى شمال أرض الحجاز وقريبة من أرض معان من أطراف الشام، وبعث الله فى أهل مدين نبيهم شعيبًا، الذى يقال

له بالسريانية: يثرون، وهو صهر موسى. ومن قبل شعيب بعث هود وصالح، وهم من العرب العاربة أيضًا، وجميعهم بُعث قبل موسى[١١٥].

وهكذا، لم يبق إذًا من إخوة بنى إسرائيل إلا بنى إسماعيل وهم العرب. ويكون النبى المبشر به منهم. ومعلوم أنه لم يقم من بنى إسماعيل أنبياء سوى محمد ﷺ، فيكون هو النبى الموعود به.

الوقفة الثالثة: أن هذا النبى مرسل للناس كافة، لقوله: [أقيم لهم نبيًّا]. وبما أنه [من وسط إخوتهم]، ففى ذلك دليل على أنه للناس كافة، وليس كسابقيه الذين أُرسلوا لأقوامهم خاصة. وفى ذلك أيضًا تأكيد على ضرورة اتباعهم له وإيمانهم به رغم أنه من إخوتهم. كما أن فى وصية موسى لهم بقوله: [له تسمعون] تأكيد آخر على وجوب اتباعهم له وإيمانهم به.

الوقفة الرابعة: أن هذا النبى مثل موسى، حيث قال الله لموسى: [وأقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك]. وبرغم أن النبى المبشر به من إخوة بنى إسرائيل وليس منهم– كما جاء بالوقفة السابقة– إلا أن النصارى يقولون: إن البشارة لعيسى، رغم أن عيسى من بنى إسرائيل.

والرد على أن البشارة ليست لعيسى وإنما لمحمد يمكن تقديمه بأربعة أدله.

الدليل الأول: أن المثلية متحققة بين موسى ومحمد دون عيسى ومن عدة وجوه يمكن ذكر بعضها فى النقاط التالية:

١- أن كليهما من أبوين، بينما عيسى مولود من أم فقط.

٢- من كليهما تزوج وأنجب، بينما عيسى لم يتزوج ولم ينجب.

٣- أن كليهما كلمه الله مباشرة دون وساط، أما عيسى فكان بواسطة روح الله جبريل فقط.

٤- أن كليهما مكث يدعو إلى عبادة ربه ما يزيد عن ثلث عمره، بينما لم تزد فترة دعوة المسيح عن ثلاث سنوات- على أكثر تقدير- أى ما يعادل أقل من عشر عمره.

٥- أن كليهما صاحب شريعة كاملة تناسب الزمان المحدد لها. بينما عيسى اعترف بنفسه فقال: [لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل][مت٥: ١٧]. وجاء بإنجيل يوحنا: [لأن الناموس بموسى أعطى، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا][يو١: ١٧].

٦- آن كليهما أمره الله بالجهاد وجاهد مع من اتبعوه، ونصره الله على أعدائه، أما عيسى فلا.

٧- أن كليهما لم يؤلهه أتباعه، بينما ألَّه النصارى عيسى وقالوا: إنه ابن الله وإنه إله.

٨- أن كليهما مات موتة عادية، ولم يقتل أو يصلب أو يرفع إلى السماء، والمسيح فى زعم النصارى صلب وقتل، ولكن الله رفعه إليه.

الدليل الثانى: أن البشارة لمحمد وليست لعيسى عليهما السلام، هو أن عيسى كثيرًا ما كان يوَّثق حديثه بما جاء بكتب الأنبياء السابقين. وكثيرًا ما كان يورد نبوءات السابقين وبشاراتهم به وينقلها بنصها أو بنص قريب منها. فيقول على سبيل المثال: [هذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل: هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنًا، ويدعون اسمه عمانوئيل][مت١: ٢٣]، والنبى القائل هو إشعياء، والبشارة بالإصحاح السابع [إش١٤:٧]. مثال آخر، قوله: [لأنه هكذا مكتوب بالنبى: وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأنه منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل[مت٢: ٥-٦]، والنبى المقصود هو ميخا، والبشارة فى الإصحاح الخامس[ميخا٥:٢]. مثال ثالث، قوله: [لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل: أرض زبولون وأرض نفتاليم، طريق البحر، عبر الأردن، جليل الأمم الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورًا عظيمًا...][مت٤: ١٤-١٦]، وأصل البشارة فى سفر إشعياء[إش٩: ١-٢]. مثال رابع، قوله: [لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل: هو ذا فتاى الذى اخترته، حبيبى الذى سُرت به نفسى...] [مت١٢:١٧-١٨]، وأصل البشارة فى سفر إشعياء [أش٤٢:١]... إلى غير ذلك من بشارات أوردها حتى النبوءة بدخوله

أورشليم راكبًا على أتان وجحش ابن أتان[مت ٢١:٥]، والنبوءة القائلة بالقبض علية وضربه وقتله وصلبه وقيامته التى وردت بكل الأناجيل.

أما البشارة الحالية- البشارة بالنبى الموعود به الذى هو مثل موسى- فلم يتحدث عنها عيسى ولم ترد بأى من الأناجيل.

الدليل الثالث: انظر لما قاله اليهود عندما ذهب عيسى إلى أورشليم ورأوه وسمعوا له وهو يعلّم بالهيكل فى عيد المظال: [فكثير من الجمع... قالوا: هذا بالحقيقة هو النبى، وآخرون قالوا: هذا هو المسيح. وآخرون قالوا: ألعل المسيح من الجليل يأتى؟ ألم يقل الكتاب: إنه من نسل داود. ومن بيت لحم، القرية التى كان داود منها يأتى المسيح؟][يو٧: ٤٠ – ٤٢]. مما يدل دلالة واضحة على أ ن اليهود من قبل مجىء عيسى كانوا يعرفون يقينًا بأن النبى المبشر به ليس هو المسيح.

الدليل الرابع: ما أقرته توراة موسى فى أخر فقراتها: [لم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى] [تث٣٤: ١٠].

وهكذا فالمثلية والبشارة متحققة فى محمد ﷺ وليست فى عيسى عليه السلام.

الوقفة الخامسة: مع قوله: [له تسمعون]، وفيه تأكيد وفرض من الله سبحانه وتعالى – من خلال التوراة – على اليهود لاتباع ذلك النبى والإيمان به.

الوقفة السادسة: مع قوله: [وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به]، ولهذه العبارة ما يأكدها فى إنجيل يوحنا ضمن البشارة بقدوم المعزى الآخر (أى النبى الآخر) روح الحق. حيث يقول: [وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذى أرسلنى...] ويقول بعدها: [وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية][يو١٦: ١٣].

أى أن النبى الموعود به يبلغ رسالة ربه بفمه، ومعجزته معجزة لغة وفصاحة، وذلك ما ينطبق على محمد ﷺ، لأن رسالته نزلت بلغة قوم يقيمون للكلمة سوقًا، ويجعلون لها سباقًا يتبارون فيه، وهم أهل فصاحة ولسان، ولأن النبى خاطبهم بلسانه لأنه أمى لا يقرأ ولا يكتب، وبلغّ رسالة ربه متحديًّا لهم بتلك المعجزة وهى القرآن الكريم.

الوقفة السابعة: أيضًا مع قوله: [يكلمهم بكل ما أوصيه به]، أى أنه لا يتكلم من تلقاء نفسه، بل بوحى من الله، ولا يكتم شيئًا مما أوحى إليه، فيبلغ رسالة ربه بكل ما جاءت به. وذلك ما ينطق على محمد بن عبدالله ﷺ الذى أوصاه المولى بتبليغ رسالته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(المائدة:٦٧). وهو

الذى بلغّ رسالته ربه كاملة، حتى ما جاء فيها من لوم أو عتاب لشخصه الكريم، وحتى كلمة "قل" أبلغها عن ربه مع ما تبعها من قول.

الوقفة الثامنة: أن هذا النبى يرسله الله للناس كافة ولكل البشرية. حيث قال سبحانه: [ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه] أى أدينه وأعاقبه على عصيانه وعدم اتباعه لهذا النبى، وهذا النبى الموعود به هو النبى الذى تنتظره كل قبائل الأرض، كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلًا: [ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض][تك٢٢: ١٨]. ومعلوم أن أول نسل إبراهيم هو إسماعيل من زوجته هاجر التى زوجتها له سارة بعد أن كانت جارية لها، وإسماعيل هو الذى قال الله فى شأنه بالتوراة: [وابن الجارية أيضًا سأجعله أمة لأنه نسلك][تك٢١: ١٣]. والذى باركه المولى فقال: [وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه][تك ١٧: ٢٠]. فالبركة إذًا لمن؟ لإسماعيل عليه السلام.

فالنبى الموعود به من نسل إسماعيل، وهو محمد بن عبد الله ﷺ المرسل للناس كافة، وليس لقومه فحسب. بينما الأنبياء السابقين له أرسلوا لقومهم خاصة. فذلك آخرهم عيسى عليه السلام – على سبيل المثال – يقول عن نفسه بالإنجيل: [لم أرسل إلا إلى خراف بيت

إسرائيل الضالة][مت١٥: ٢٤]، كما أوصى تلاميذه الاثنى عشر قائلًا: [إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة][مت١٠: ٥-٦].

الوقفة التاسعة: أن هذا النبى، نبى حق، وليس بمدعٍ للنبوة. فقال سبحانه على لسان موسى: [وأما النبى الذى يطغى، فيتكلم باسمى كلامًا لم أوصيه أن يتكلم به] أى يدعى النبوة ويفترى على الله الكذب، [أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى] غير الله، مثل ذلك ليس بنبى... ومعروف من هو النبى الذى دعا إلى الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

الوقفة العاشرة: أن هذا النبى يموت على فراشه ولم يُقتل أو يُرجم، لأنه لم يفتر على الله الكذب. بينما من يدعى النبوة أو يدعو لغير الله [فيموت ذلك النبى]، أى يقتل، حسب ما جاء فى شريعة موسى: [ومن جدّف على اسم الرب فإنه يقتل، يرجمه كل الجماعة رجمًا][لا٢٤: ١٦]. أى من عاب فى حق الله وافترى عليه الكذب... وقد اتهم اليهود المسيح بأنه جدّف على الله فحكموا عليه بالقتل والصلب. فجاء فى الإنجيل قول اليهود: [لنا ناموس، وحسب ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه ابن الله][يو١٩: ٧]. وجاء أيضًا: [وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع ليقتلوه، فلم يجدوا... فأجاب رئيس الكهنة وقال له: استحلفك بالله الحى أن تقول

لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت... فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلًا: قد جدّف، ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه، ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا: إنه مستوجب الموت][مت٢٦: ٥٩-٦٦] فحكموا عليه بالقتل والصلب.

والمسيح فى زعم النصارى، كما أثبتته الأناجيل، قُتل وصُلب. فهل هو مجدّف على الله ومتنبئ كاذب كما ادعى اليهود؟؟!! والحق فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(النساء:١٥٧-١٥٨).

أما محمد بن عبدالله ﷺ فهو النبى الحق الذى لم يستطع أحد قتله رغم كثرة المحاولات: قبل الهجرة، وفى أثناءها، وبعدها، ومات على فراشه بعد أن بلغ رسالة ربه أصدق بلاغ.

وخلاصة هذه الوقفة، أن نهاية المتنبئ الكاذب القتل. وقد صدق ذلك فى كل من ادعى النبوة، قبل بعثه محمد ﷺ وبعدها، فكان مصيرهم القتل، أمثال: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسى وغيرهما.

الوقفة الحادية عشر: أن هذا النبى سيخبر بأمور غيبية تقع مستقبلًا وتحدث كما أخبر عنها. فقال الله على لسان موسى: [فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب. بل بطغيان تكلم به النبى]. ولهذه العبارة ما يؤكدها بالعهد الجديد،

بإنجيل يوحنا، ضمن البشارة بقدوم روح الحق المعزى الآخر (أى النبى الآخر)، حيث يقول: [وأما متى جاء ذلك روح الحق... يخبركم بأمور آتية][يو١٦: ١٣].

وقد أخبر محمد بن عبدالله ﷺ بأمور غيبية كثيرة أطلعه الله عليها. منها ما تحقق فى زمانه، ومنها ما تحقق ورآه صحابته من بعده، ومنها ما تحقق ورأته أمته من بعده بمئات السنين، ومنها ما أثبتته وتثبته نتائج الأبحاث العلمية من الإعجاز العلمى للقرآن الكريم مستقبلًا وحتى آخر الزمان.

وهكذا، فالبشارة واضحة وضوح الشمس الساطعة، بأنها للنبى الحق لأنه لم يدّع النبوة... للنبى العربى لأنه من نسل إسماعيل... للنبى الأمى لأنه بلغ رسالة ربه بفمه... للنبى الذى مات موتة عادية ولم يقتل... للنبى صاحب الشريعة الكاملة ولم يأتِ ليكمل أو ليدعو إلى شريعة من سبقه... للنبى صاحب المعجزة الخالدة التى تؤكد السنون صدق ما جاءت به (القرآن الكريم)... للنبى الذى أرسله الله رحمة للعالمين للناس كافة وليس لقومه فحسب... لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ.

البشارة الثانية: البشارة بمقدم النبى العربى ﷺ - فى العهد القديم:

جاء فى الإصحاح الثانى والأربعين بسفر إشعياء، ما يبشر أولًا

بمقدم عيسى عليه السلام. وهذا نص البشارة: [هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سُرت به نفسى، ووضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم][إش١:٤٢]. وجاء بالعهد الجديد ما يؤكد هذه البشارة، بما نصه: [هو ذا فتاى الذى اخترته، حبيبى الذى سُرت به نفسى، أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق][مت١٨:١٢].

ثم جاءت بعد هذه البشارة مباشرة– وبالسفر نفسه والإصحاح بالعهد القديم– بشارة أخرى، يعيها كل منصف بأنها لنبى آخر جديد. وهذا نصها: [غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض. أيها المنحدرون فى البحر وملؤه، والجزائر وسكانها، لترفع البَرِّيَّة ومدنها صوتها، الديار التى سكنها قيدار][إش٤٢: ١٠-١١].

والمنصف يرى فى هاتين الآيتين ما يلى:

(أولًا) أن البشارة لنبى آخر جديد [غنوا للرب أغنية جديدة]، أى فرح جديد بخلاف الفرح الذى بشر به فى مطلع الإصحاح– من الآية الأولى وحتى التاسعة.

(ثانيًا) أن هذه البشارة لنبى آخر [من أقصى الأرض]، فى أرض بعيدة عن أرض فلسطين مهد الرسالات. وقد كان يشار إلى أرض اليمن، التى هى على امتداد أرض الحجاز، بأنها أقصى الأرض. حيث جاء عن ملكة سبأ بإنجيلى متى ولوقا ما نصه: [ملكة التيمن ستقوم فى

الدين مع هذا الجيل وتدينه، لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان][مت١٢:٤٢] [لو١١: ٣١]. وهكذا فأرض مكة من أقصى الأرض بالنسبة لفلسطين.

(ثالثًا) بالعودة إلى الـ[تسبيحة] الجديدة، التى [من أقصى الأرض]، تجدها تشير وتنبئ بدين جديد يظهر فى أقصى الأرض برسالة سماوية جديدة، لأن التسبيح لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى.

(رابعًا) أن الرسالة الجديدة ستكون لكل سكان البر والبحر والبدو والحضر [أيها المنحدرون فى البحر وملؤه، والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها] تهليلًا وفرحًا بذلك الدين الجديد، وبمقدم ذلك النبى.

(خامسًا) أن هذه البشارة لنبى عربى لأنه من [الديار التى سكنها قيدار] أى من ديار العرب. وقيدار هذا هو الابن الثانى من أبناء إسماعيل عليه السلام، وهو جد العرب وجد المصطفى محمد ﷺ.

البشارة الثالثة: البشارة بمقدم رسول كل البشرية ﷺ – فى العهد القديم:

جاء فى الإصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء تحت عنوان: [عبد الرب يتألم ويتمجد] ما ينبئ بالقبض على سيدنا عيسى وصلبه– كما يقول الكتاب المقدس– وضربه، وأنه ظُلم وعُذب حتى الموت، دون

أن يرتكب ذنبًا، ليكون فداءً للآخرين ومغفرة لذنوبهم، ومن ذلك: [لكن أحزاننا حملها... وأوجاعنا تحملها... والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظُلم، أما هو فتذلل ولم يفتح فاه... أنه ضُرب من أجل ذنب شعبى، وجُعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته. على أنه لم يعمل ظلمًا، ولم يكن فى فمه غش... من أجل أنه سكب للموت نفسه، وأحصى مع أثمةٍ، وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين][إش٥٣: ٤-١٢]. وتلك نهاية الإصحاح الثالث والخمسين.

ثم جاء فى الإصحاح الرابع والخمسين (المجد الآتى) من أول كلمة فيه، ما نصه: [ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد. أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض، لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل، قال الرب. أوسعى مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك. لا تُمسكى. أطيلى أطنابك وشددى أوتادك لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أممًا، ويعمر مدنًا خربة. لا تخافى لأنك لا تخزين، ولا تخجلى لأنك لا تستحين. فإنك تنسين خزى صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد، لأن بعلك هو صانعك، رب الجنود اسمه، ووليك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يدعى][إش١:٥٤-٥].

والمتأمل المنصف يرى فى هذه الآيات ما يلى:

(أولًا) أن البشارة و[المجد الآتى] إنما لنبى بعد عيسى. لأنها

جاءت بعد الانتهاء من سرد النبوءة بموت عيسى عليه السلام ونهايته بحمله لخطايا أمته وإثمهم وشفاعته فى المذنبين.

(ثانيًا) [ترنمى] و[أشيدى بالترنم] والترنم لا يكون إلا للعبادة. أى تعبدى وأشيدى بالتعبد للمعبود، وافتخرى واسعدى بذلك، ولا يكون الترنم والعبادة– بعد النبوءة بالموت والنهاية المحتومة لعيسى عليه السلام– إلا بمولد نبى جديد يأتى بدين جديد يستحق الإشادة.

(ثالثًا) إن البشارة لنبى فى أرض عاقر [أيتها العاقر التى لم تلد] و[لم تمخض] ولم تنجب أنبياءً.

(رابعًا) أن هذه البشارة لنسل المستوحشة ذات الأبناء الكثيرين، [لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل]، والمستوحشة هى هاجر، لأنها سكنت القفار الموحشة بأرض مكة، ولأن نسلها من ابنها إسماعيل اثنى عشر رجلًا. لأن ملاك لرب قال لها كما جاء بسفر التكوين: [تكثيرًا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة]. وقال لها ملاك الرب: [هاأنت حبلى، فتلدين ابنًا وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانًا وحشيًّا][تك١٦: ١٠– ١٢]. كما قال الله لإبراهيم: [أما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا، اثنى عشر رئيسًا يلد، وأجعله أمة كبيرة][تك٢٠:١٧]. بينما نسل [ذات البعل] سارة من ابنها إسحاق هما اثنان فقط: عيسو ويعقوب الذى هو إسرائيل.

(خامسًا) أن هذه البشارة لنسل المستوحشة (هاجر)، لأنها أخذت العهد من الله تعالى بأن يجعل نسلها من إسماعيل أمة عظيمة حين تُركت وغلامها وحيدين فى الصحراء. فقد جاء بسفر التكوين: [ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر؟ لا تخافى، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى أحملى الغلام وشدى يدك به، لأنى سأجعله أمة عظيمة][تك١٧: ٢١-١٨]، ولم يقل: سأجعله عظيمًا- وهو عظيم حقًا لأنه نبى ابن نبي- وإنما قال: [سأجعله أمة عظيمة]، وعِظم الأمة ليس فقط بكثرة عددها، وإنما بعظم من فيها. ويكفيها تعظيمًا أن جاء منها النبى العظيم ﷺ. كما وُصِفَ عيسى عليه السلام (بالعظمة) حينما بشر الملاك مريم قائلًا لها: [ستحبلين وتلدين ابنًا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيمًا...][لو١: ٣١-٣٢].

(سادسًا) أن الذين أبعدوا عن موطنهم الأصلى ونسلهم [يعمر مدنًا خربة] هم نسل إسماعيل الذى سكن مكة الصحراء الجرداء، ولم تكن حتى ذات زرع.

(سابعًا) أنك أيتها البلد سوف [يرث نسلك أممًا] كثيرة، لكثرتهم من جهة، ولعموم الرسالة المحمدية من جهة أخرى، لأنها رسالة للبشرية جميعًا. بينما نسل إسحاق قليلون ولا يرثون أكثر مما وعدهم به سبحانه لآبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثم موسى بأرض فلسطين كما تقول التوراة.

(ثامنًا) يا مكة [أوسعى مكان خيمتك] والخيمة رمز من رموز العرب، [ولتبسط شقق مساكنك. لا تمسكى] ولا تعاندى، ليستظل معك بظل خيمتك غيرك، لذلك [أطيلى أطنابك] أى حبالك، [وشدى أوتادك] لتتسع خيمتك. [لأنك] رضيت أم أبيت سوف [تمتدين إلى اليمين واليسار]، بانتشار الرسالة المحمدية. وساعتها [فإنكِ تنسين خزى صباك. وعار ترملك لا تذكرينه بعد]. خزى الشرك بالله وعار البعد عن الحنيفية السمحة لزمن طويل، منذ قدم إبراهيم وإسماعيل إليك، حتى جاءك النور المبين نور محمد ﷺ الذى لن يفارقك بقدرة الله وحفظه.

(تاسعًا) أن إلهك أيتها البلدة هو هو [قدوس إسرائيل]، لأنه الإله الواحد منذ الأزل وإلى الأبد. ولكنه سبحانه ساعة ظهور النبى محمد ﷺ [إله كل الأرض يدعى]. وفى مطلع سورة الفاتحة، التى يتعبد بها المسلمون فى كل صلاة وكل ركعة، قول رب العالمين سبحانه: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الفاتحة:٢). بينما أُرسل عيسى عليه السلام لقومه من بنَى إسرائيل ليخلصهم من طغيانهم وتركهم شريعة موسى.

والأدلة على ذلك كثيرة مثل: [ولأورشليم جعلت مبشرًا] [إش٤١:٢٧]، أى عيسى. ومثل: [ها العذراء تحبل وتلد ابنًا][إش٧:١٤]، و[لأنه يولد لنا ولد... رئيس السلام. لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته][إش٩: ٦– ٧]. فالرياسة على كرسى داود

و مملكته. وداود هو جد عيسى عليهما السلام. كما جاء بالعهد القديم: [أما أنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا. فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطًا على إسرائيل][ميخا٢:٥]. فسلطانه على بنى إسرائيل. ثم جاء ما يؤكد ذلك بالعهد الجديد: [وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا. لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل][مت٢:٦]. وفى موضع آخر قال الملاك لمريم: [لا تخافى يا مريم، لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنًا وتسميه يسوع. هذا يكون عظيمًا وابن العلى يدعى. ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية][لو١: ٣٠-٣٣]. فالملك هنا على بيت يعقوب– بيت إسرائيل.

وفى موضع آخر قال عليه السلام عن نفسه: [لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة][مت١٥:٢٤]. لأنه يقول: [أنا هو الراعى الصالح][يو١١:١٠]. وإجابته هنا قاطعة مانعة، لأنه قال: [لم أرسل إلا] فرسالته لبنى إسرائيل خاصة. كما أكد على تلاميذه بأن يدعوا بيت إسرائيل دون غيرهم، فقال لهم: [إلى طريق أمم لا تمضوا، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة][مت١٠: ٥- ٦].

وقد يقول قائل بأن هناك آيات بالإنجيل تقول: إن عيسى عليه

السلام أُرسل لجميع الأمم. كتلك الآية التى تقول: [هو ذا فتاى الذى اخترته، حبيبى الذى سُرت به نفسى. أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق][مت١٨:١٢]، ولكن المقصود بالأمم توضحه الآيات التالية: الآية الأولى: قوله لتلاميذه الاثنى عشر: [إنكم أنتم الذين اتبعتمونى، فى التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده] قاصدًا نفسه [تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًّا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر][مت١٩:٢٨]. فرسالة التلاميذ لأسباط إسرائيل. ولعل ذلك ما تؤكده الآية التالية، حيث أخذ الاثنى عشر أيضًا وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له: [ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسَلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم فيهزءون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه، وفى اليوم الثالث يقوم][مر١٠:٣٢-٣٤]. فالأمم إذًا تعنى الجمع الغفير من اليهود المستهزئين.

وقد يقول آخر: أن هناك آية أو أكثر بالأناجيل تقول: إن عيسى أرسل تلاميذه للعالم أجمع. مثل الآية التى تقول: [اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها][مر١٦:١٥]... ولكن المقصود بالعالم والخليقة توضحه الآيات التالية: [وكان الجمع الذى معه يشهد أنه دعى ألعازر من القبر وأقامه من الأموات. لهذا أيضًا لاقاه الجمع، لأنهم سمعوا أنه قد صنع هذه الآية. فقال الفريسيون بعضهم لبعض:

انظروا إنكم لا تنفعون شيئًا، هو ذا العالم قد ذهب وراءه][يو١٢:١٧ – ١٩]. فالعالم كانت تستخدم آنذاك بمعنى الجمع الغفير من الناس... وهذا ما تؤكده أيضًا الآيتان التاليتان: [فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. أجابه يسوع: أنا كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائمًا][يو١٨:١٩– ٢٠]. فالعالم يعنى الجمع من اليهود.

وهكذا، فرسالة عيسى عليه السلام لبيت إسرائيل خاصة، أما الرسالة التى فيها المولى سبحانه [إله كل الأرض يُدعى] فهى الرسالة المحمدية التى جاءت لكل البشر وللأرض قاطبة، ورسولها هو الرحمة المرسلة لكل العالمين.

البشارة الرابعة: البشارة بالنبى الماحى ﷺ والرسالة الخاتمة– فى العهد القديم:

جاءت هذه البشارة بسفر دانيال، فى تفسير دانيال لحلم نبوخذ نصّر ملك بابل. حيث قال دانيال للملك: [يوجد إله فى السماوات كاشف الأسرار، وقد عرَّف الملك نبوخذ نَصَّر ما يكون فى الأيام الأخيرة][دا ٢: ٢٨]. حيث اشترط الملك على من يفسر حلمه أن يذكر الحلم ثم يذكر تفسيره... فأخذ دانيال فى ذكر حلم الملك فقال: [أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهى جدًا واقف

قبالتك، ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد. صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضها من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معًا، وصارت كعاصفة البيدر فى الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلًا كبيرًا ملأ الأرض كلها هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قدام الملك][دا ٢:٣١-٣٦].

ثم شرع دانيال فى تفسير الحلم قائلًا للملك: [أنت أيها الملك ملك ملوك، لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتدارًا وسلطانًا وفخرًا. وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلّطك عليها جميعها. فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد، لأن الحديد يدق ويسحق كل شىء. وكالحديد الذى يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء. وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد، فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أن رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين.

وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف، وبعض المملكة يكون قويًّا والبعض قصمًا. وبما رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين، فإنهم يختلطون بنسل الناس، ولكن لا يتلاصق هذا بذاك، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف. وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدًا، ومُلكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك، وهى تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت أنه قُطع حجرٌ من جبلٍ لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرَّف الملك ما سيأتى بعد هذا. الحلم حقٌّ وتعبيره يقين.

حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال، وأمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور. فأجاب الملك دانيال وقال: حقًا إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار. إذ استطعتَ على كشف هذا السر. حينئذ عظم الملك دانيال وأعطاه عطايا كثيرة وسلطه على كل ولاية بابل وجعله رئيس الشحن على جميع حكماء بابل][دا ٢: ٣٧-٤٨].

ومع هذا الحلم وتفسيره وقفات:

الوقفة الأولى: أن هذا الحلم هو كشف من الله سبحانه ليعرِّف الملك ما سيكون فى الأيام الأخيرة. [يوجد إله فى السماوات كاشف الأسرار، وقد عرف نبوخذ نصر ما يكون فى الأيام الأخيرة]، أى فى الزمان الأخير على الأرض، زمن آخر الرسالات.

الوقفة الثانية: أن ممالك بابل والفرس هذه لا تزيد عن كونها تمثالًا– حتى ولو كان بعضه من الذهب– لبعدها عن عبادة إله الآلهه، وستزول تلك الوثنية يومًا من الأيام، مهما تعاظمت ومهما وصلت إلى درجات عالية من العظمة والبهاء.

الوقفة الثالثة: ستتعاقب على بابل والفرس ممالك وممالك، آخر مملكة بها [كالحديد الذى يكسر، تسحق وتكسر كل هؤلاء] أى تسحق كل الممالك وتظهر قوتها على الأرض. ولعل فى قوة كسرى وقوة مملكته، قوة الحديد الذى يكسر، والمملكة التى تسحق وتكسر ما يقف أمامها. والتاريخ يشهد بقوة كسرى والفرس مملكته.

الوقفة الرابعة: أن هذه المملكة القوية، إمبراطورية الفرس، التى تربعت على عرش ما سبقتها من ممالك، وأصبحت إحدى الدولتين العظميين آنذاك– الفرس والروم- لم تُمح ولم تنسحق إلا بظهور مملكة جديدة [يقيمها إله السماوات]، أى مملكة تقوم على الدين ومن أجله. وهى مملكة الماحى ﷺ التى [تسحق وتفنى كل هذه الممالك] وتمحو ممالك الكفر والطغيان.

والتاريخ يشهد بأن مملكة الفرس بكل طغيانها وجبروتها لم تُكسر ولم تُمح إلا بدخول الإسلام بلاد فارس... فاسألوا التاريخ عن سعد بن أبى وقاص ومعركة القادسية، فى عهد عمر بن الخطاب، وما تلاها

من معارك. واسألوا التاريخ عن نهاية كسرى وزوال منصبه من الوجود... على أيدى من كان هذا؟ وأى مملكة أحدثت هذا؟

فالتاريخ يقول: "أن عمر بن الخطاب بَعث بالإمدادات إلى العراق بقيادة سعد بن أبى وقاص، وانتصر هذا القائد العربى الجديد فى موقعة (القادسية) الحاسمة سنة١٦هـ/ ٦٣٧م. وكانت القادسية تعرف بأنها باب الفرس. وقد تابع المسلمون منها الزحف على فارس، حيث سقطت فى أيديهم (المدائن) عاصمتها آنذاك دون قتال. وتتابعت فتوح المسلمين بعد ذلك فى قلب بلاد فارس نفسها، فاستولوا على معقل جلولاء، وهو الآن يقع على الحدود بين العراق وإيران. وتم النصر للمسلمين على الفرس عند (نهاوند) التى تقع فى قلب بلاد فارس وأشدها وعورة. ولذا أطلق العرب على هذا النصر(فتح الفتوح). ولم يستطع يزدجرد آخر أكاسرة الفرس متابعة المقاومة، وفر من الميدان، حتى تم إلقاء القبض عليه وقتله بخراسان سنة٣١هـ فى عهد خلافة عثمان بن عفان. وصارت بلاد فارس جزءًا من الدولة الإسلامية الفتية، وأخذ أهلها يدخلون فى رحاب الإسلام"[١١٦].

وهكذا يجيب التاريخ بأن نهاية دولة الفرس ونهاية كسرى وزوال منصبه من الوجود كان على أيدى دولة الإسلام، التى أقامها المولى عز وجل بدينه الإسلامى، الذى ارتضاه للبشرية جميعًا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الوقفة الخامسة: أن الحجر الذى سحق ومحا كل هذا التمثال، قُطع من جبل [قد قطع حجر من جبل]، ثم [صار جبلًا كبيرًا] هو نبى ومن نسل نبى. والجبال هى رواسى الأرض التى بها تتزن وتستقر... هو محمد الذى من نسل إسماعيل وإبراهيم عليهم السلام أجمعين.

الوقفة السادسة: أن هذا الحجر [صار جبلا كبيرًا، وملأ الأرض كلها] هو رسول الأرض كلها، وللناس كافة، وجاء لتستقر به الأرض قاطبة.

الوقفة السابعة: أن الذى أرسل هذه الرسالة هو [إله السماوات]، وأقام بها [مملكة لن تنقرض أبدًا]، [وهى تثبت إلى الأبد]. إنها آخر الرسالات السماوية رسالة الإسلام، التى ستثبت بأمر الله وقدرته على الأرض إلى الأبد، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لأن المولى سبحانه وتعالى المتكفل بحفظ دستور هذه المملكة (القرآن الكريم)، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩).

الوقفة الثامنة: على مر التاريخ، ومنذ ظهور الإسلام ودخوله بلاد فارس، أى منذ نحو أربعة عشر قرنًا من الزمان، ألا يزال الإسلام موجودًا ومتربعًا هناك؟ أليس ذلك دليلًا على صدق النبوءة للنبى الخاتم ﷺ، والرسالة الخاتمة؟

البشارة الخامسة: البشارة بالنبى الخاتم ﷺ - فى العهد الجديد:

جاء بالسفر الأول من إنجيل يوحنا، ما نصه: [وهذه هى شهادة يوحنا] أى يوحنا المعمدان، وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام [حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر: إنى لست أنا المسيح. فسألوه: إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبى أنت؟ فأجاب: لا]... [فسألوه وقالوا له: فما بالك تُعَمِّد إن كنت لست المسيح، ولا إيليا ولا النبي؟][يو١٩:١-٢٥].

ومع الكلمات الثلاث: المسيح، وإيليا، والنبى، للأنبياء الثلاثة الذين نبأ بهم الكهنة وسألوا عنهم، ثلاث وقفات:

الوقفة الأولى: مع كلمة [المسيح] والمقصود بها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

الوقفة الثانية: مع كلمة [إيليا] والتى يمكن معرفتها من الإصحاح السابع عشر من إنجيل متى، والذى جاء به: [أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه، وصعد بهم إلى جبلٍ عالٍ... وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه... وفيما هم نازلون من الجبل... سأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة: إن إيليا ينبغى أن يأتى أولًا؟ فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيليا يأتى أولًا ويرد كل شىء. ولكنى أقول لكم: إن إيليا قد جاء، ولم يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا... حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان] [مت١٧:١-١٣].

فإيليا إذًا هو يوحنا المعمدان- يحيى بن زكريا- الذى جاء قُبيل عيسى عليهما السلام. وفى إنجيل متى أيضًا ما يؤكد ذلك. حيث أخذ يسوع يحدث عن يوحنا ومكانته، وأنهى حديثه عنه بقوله: [... فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى] [مت١٤:١١].

الوقفة الثالثة: مع كلمة [النبى]. فإذا كان كهنة اليهود وقتها يتنبأون بقدوم ثلاثة أنبياء: (المسيح، وإيليا، والنبى)، لأنهم سألوا عن الثلاثة، وظهر منهم اثنان: إيليا، الذى قصد به يوحنا المعمدان، ثم المسيح وهو عيسى بن مريم الذى جاء بعده مباشرة... فلم يبق إذًا سوى نبى واحد، وهو نبى بعينه مرتقب ويأتى فى الترتيب الزمنى بعد مجئ إيليا و المسيح، وهو آخر من تنبأوا به وسألوا عنه... من هو؟

قد يقول مكابر: إن المراد بكلمة [النبى] نبى من الأنبياء السابقين، ظهر مرة أخرى، والرد على ذلك فى نقطتين: الأولى: أنه كيف يُعقل أن يسألوا إنسانًا وُلد وعاش معهم على أنه من الأنبياء السابقين؟ فالقصد إذًا نبى منتظر. الثانية: بالرجوع مرة أخرى إلى كلمة [النبى] يراها جاءت معرَّفة، ولم تأت نكرة. مما يؤكد أنه لم يقصد بها أى نبى من السابقين، ولكن قُصد بها نبى بعينه مرتقب. كما أن كلمة النبى المعرفة تنبئ عن كلمة بعدها ليكتمل المعنى، كأن تكون: النبى الأخير، أو النبى الخاتم، أو النبى الأمى أو النبى العربى... كما أنها جاءت فى

سؤالهم بعد إيليا والمسيح، ولم يأت بعدها شيء... إذًا فالنبى المقصود هو النبى الخاتم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

البشارة السادسة: البشارة بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ - فى العهد الجديد:

جاءت نبوءة عيسى عليه السلام بنبوة أخرى من بعده، حيث قال عند القبض عليه وتقديمه للوالى بيلاطس- كما جاء بإنجيل مرقس- ما نصه: [وللوقت فيما هو يتكلم، أقبل يهوذا، واحد من الاثنى عشر، ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ... فأجاب يسوع وقال لهم: كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني! كل يوم كنت معكم فى الهيكل أُعَلِّم ولم تمسكوني! ولكن لكى تُكمَّل الكتب][مر١٤: ٤٣-٤٩]. وجاء بإنجيل متى ما نصه: [وفيما هو يتكلم، إذا يهوذا أحد الاثنى عشر، قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب... فى تلك الساعة قال يسوع للجموع: كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني! كل يوم كنت أجلس معكم وأعلم فى الهيكل ولم تمسكونى. وأما هذا كله فقد كان لكى تكمَّل كتب الأنبياء... فكيف تكمل الكتب، إنه هكذا ينبغى أن يكون] [مت٤٧: ٢٦-٥٦].

والمتأمل لتلك الآيات التى نطق بها عيسى عليه السلام، وبعدها

غادر الحياة الدنيا، يرى فيها تصريحه: بأنه ليس بآخر الرسل، وليس كتاب الإنجيل الذى أنزل عليه بآخر الكتب السماوية، وناموس السماء لم يكمل بعد. فهناك نبى آخر، سيأتى من بعده بكتاب آخر، [لكى تكمل كتب الأنبياء].

وقد يقول قائل: إن عيسى عليه السلام إنما يقصد بقوله: [لكى تكمل الكتب] أو [لكى تكمل كتب الأنبياء]، أن يصدق ما تنبأت به كتب الأنبياء السابقين من أنه سيتم القبض عليه ويُضرب وسيقدم ليصلب... لكن للرد على ذلك: لو كان ذلك قصده، لقال: لكى تصدق الكتب أو لكى تصدق كتب الأنبياء، أو لكى يتحقق ما جاء بكتب الأنبياء، ولما قال: تكمَّل، هذه واحدة.

والثانية: إن مقولته: [لكى تكمل كتب الأنبياء] لم يستخدمها إلا فى هذا الموقف. فى حين أنه كلما كان يستشهد بما جاء بالكتب السابقة يقول: [لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل:...] [مت٢٢:١]، [لأنه هكذا مكتوب بالنبى:...] [مت٥:٢]، [لكى يتم ما قيل بالأنبياء:...] [مت٢٣:٢]، [لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل:...] [مت١٧:١٢]، [كما هو مكتوب:...] [لأنه مكتوب:...] [مر٢١،٢٧:١٤]، [لكى تتم الكلمة المكتوبة:...] [يو٢٥:١٥]، [ليتم الكتاب القائل:...]، [وأيضًا يقول كتاب آخر:...] [يو٢٤:١٩،٣٧،٣٦].

وهكذا فإنه يستشهد من الماضى ليؤكد الحاضر بقوله [ما قيل] أو [الكتاب القائل] أو [يقول الكتاب] أو [الكلمة المكتوبة]، بينما قوله: [تكمل كتب الأنبياء] فيقصد به المستقبل، إلى حيث مبعث آخر الأنبياء، بآخر كتاب سماوى.

البشارة السابعة: البشارة بالنبى المختار (رأس الزاوية) ﷺ – فى العهد الجديد ولها ما يؤكدها بالعهد القديم:

جاءت البشارة فى [مثال الكرّامين] الذى ساقه عيسى عليه السلام لرؤساء الكهنة والفريسيين والكتبة والشيوخ، وهو يعلم فى الهيكل. وكان يعلم بالأمثال فى كثير من الأحيان، ويشرحها لهم حينًا ويتركها بدون شرح حينًا آخر، ويعقب بقوله: [من له أذنان للسمع فليسمع].

وجاء مثال الكرامين فى أناجيل: متى، ومرقس، ولوقا الثلاثة، وهذا نصه: [وابتدأ يقول لهم بأمثال: إنسان غرس كرمًا وأحاطه بسياج، وحفر حوض معصرة وبنى برجًا وسلمه إلى كرامين وسافر. ثم أرسل إلى الكرامين فى وقت عبدًا ليأخذ من الكرامين من ثمر الكرم. فأخذوه وجلدوه وأرسلوه فارغًا، ثم أرسل إليهم أيضًا عبدًا آخر، فرجموه وشجوه وأرسلوه مهانًا. ثم أرسل أيضا آخر، فقتلوه. ثم آخرين كثيرين، فجلدوا منهم بعضًا وقتلوا بعضًا. فإذا كان له أيضًا ابن واحد حبيب إليه أرسله أيضًا إليهم أخيرًا، قائلًا: إنهم يهابون ابنى، ولكن

أولئك الكرامين قالوا فيمابينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله فيكون لنا الميراث، فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج الكرم. فماذا يفعل صاحب الكرم؟ يأتى ويهلك الكرامين، ويعطى الكرم إلى آخرين. أما قرأتم هذا المكتوب]. وفى إنجيل متى: [أما قرأتم قط فى الكتب: الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية؟ من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه. ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله، عرفوا أنه تكلم عليهم][مت٢١:٣٣-٤٥][مر١٢:١-١١][لو٢٠:٩-١٩].

ومع هذا المثل وقفات:

الوقفة الأولى: أن عيسى عليه السلام قال هذا المثل لرؤساء الكهنة والفريسيين والكتبة وشيوخ الشعب، وهو يعلِّم فى الهيكل، لما رآه من غلظتهم وقساوة قلوبهم وحيدتهم عن الحق... والكتبة هم فئة كانت تنسخ الأسفار المقدسة، ثم تحولت إلى تعليم الشريعة، وتمسكوا بالحرف لا بالجوهر، والفريسيون هم طائفة دينية متشددة، واتصفوا بالكبرياء والرياء والتمسك بالتقاليد اليهودية. والصدوقين هم طائفة من اليهود، كانوا لا يؤمنون بالقيامة ولا بوجود ملائكة ولا أرواح، وأكثر أعضائها من الكهنة ورؤساء الكهنة(١١٧).

الوقفة الثانية: المقصود بالكرام (صاحب الكرم)، وهو الخالق سبحانه صاحب الكون. الذى اختار بقعة من ملكوته فى أرضه لغرس الكروم بها، فجعلها [كرمًا وأحاطه بسياج] عنايته. تلك البقعة هى بيت إسرائيل. وسلم ذلك الكرم أو البستان لكرامين عسى أن يعتنوا به ويكونوا خلفًا صالحًا لمن استخلفهم فى تلك البقعة. وجاء تأكيد ذلك فى قول عيسى عليه السلام: [أنا الكرمة الحقيقية، وأبى الكرَّام][يو١٥: ١]. فيشبه نفسه بالغرس الجيد الذى انتقاه الخالق واعتنى به فى بستانه الذى هو بيت إسرائيل، لأنه جاء بالعهد القديم: [إن كَرْمَ رب الجنود هو بيت إسرائيل][إش٧:٥].

الوقفة الثالثة: أن صاحب الكرم سبحانه سلم الكرم [إلى كرامين] للاعتناء به، [ثم أرسل إلى الكرامين فى الوقت عبدًا] أى رسولًا من رسله [ليأخذ من الكرامين من ثمر الكرم، فأخذوه وجلدوه وأرسلوه فارغًا، ثم أرسل إليهم أيضًا عبدًا آخر، فرجموه وشجوه وأرسلوه مهانًا. ثم أرسل أيضًا آخر فقتلوه. ثم آخرين كثيرين، فجلدوا منهم بعضًا وقتلوا بعضًا...] أى أرسل المولى رسولًا من رسله ثم آخر ثم ثالث وهكذا، حتى أصبحوا كثيرين، ولكنهم قوبلوا جميعًا بالضرب والإهانة والجلد والرجم والقتل... وما أكثر ما أرسل الله من أنبيائه ورسله إلى بنى إسرائيل، "بحيث لا يعلم عددهم إلا الذى بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة، حتى خُتموا بعيسى بن مريم من بنى إسرائيل"[١١٨]. وهؤلاء على كثرتهم قوبلوا بما ذكر المثل. فها هو عيسى

عليه السلام يرثى أورشليم فيقول: [يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها][مت٣٧:٢٣]، [لو٣٤:١٣].

الوقفة الرابعة: [ليأخذ من الكرامين من ثمر الكرم]، فما أرسل سبحانه رسله إلا ليثمر غرسه مؤمنين به وموحدين. وفى ذلك يقول عيسى عليه السلام: [أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرَّام، كل غصن فى لا يأتى بثمر ينزعه][يو١٥:١]، ويقول لتلاميذه: [أنا الكرمة وأنتم الأغصان][يو١٥:٥]. فالغاية إذًا من الكرم والكرمة أو الكروم كلها وأغصانها هو الإثمار بمؤمنين وموحدين بالله.

الوقفة الخامسة: أن هؤلاء الرسل، على كثرتهم، يعودون خاليى الوفاض وبدون ثمر يستحق الذكر. وتاريخ اليهود يشهد بذلك، ومن ذلك ما فعلوه بآخر أنبيائهم عيسى عليه السلام، حيث يوضح ذلك فى رثائه لأورشليم بقوله: [يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا][لو١٣:٣٤]. كما أرسل تلامذته الاثنا عشر رعاة لبنى إسرائيل وأوصاهم قائلًا: [إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة][مت١٠:٥-٦].

الوقفة السادسة: مع قوله: [فإذا كان له أيضًا ابن واحدٌ حبيب إليه

أرسله أيضًا إليهم أخيرًا]، قاصدًا بذلك نفسه، عليه السلام، لأنه كما تقول الأناجيل هو ابن الله وحبيبه، حيث يقول الرب عنه فى أحد المواضع، كما جاء بإنجيل متى: [هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت][مت٦:١٧].

الوقفة السابعة: أنه سبحانه أرسل آخر رسله لبنى إسرائيل عيسى نفسه، حيث قال: [ابن واحد حبيب إليه أرسله أيضًا إليهم أخيرًا]. فـ[أخيرًا] تعنى الزمن الذى أرسل فيه عيسى، عليه السلام، كما تعنى آخر الرسل لبنى إسرائيل... والذى كان مصيره كسابقيه، حيث الرفض والإهانة والضرب وتسليمه للصلب والقتل. فقد جاء بالأناجيل: [وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله، فأوثقوه ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس] وبيلاطس هذا هو الحاكم، والذى [أسلم يسوع بعدما جلده ليصلب. فمضى به العسكر إلى داخل الدار، التى هى دار الولاية، وجمعوا كل الكتيبة وألبسوه أرجوانًا وضفروا إكليلًا من شوك ووضعوه عليه، وابتدأوا يسلمون عليه قائلين: السلام يا ملك اليهود. وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه...][مر١٥:١-١٩]، ثم اقتادوه إلى موضع الصلب ليصلب.

الوقفة الثامنة: أن هؤلاء هم الذين قالوا: [هلموا نقتله] أى عيسى، عليه السلام، [فيكون لنا الميراث فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج

الكرم]، حتى لا يقضى على سلطانهم ويزيحهم من مكانتهم. فكان ما كان حتى أخرجوه من حياته الدنيا.

الوقفة التاسعة: تأكيدًا لما سبق من وقفات بهذا المثل، يسوق الكاتب [أنشودة الكرمة] كما جاءت بالعهد القديم من الكتاب المقدس، بنصها التالى: [لأنشدن عن حبيبى نشيد مُحبى لكرمه: كان لحبيبى كرمٌ على أكمة خصبة] أى هضبة خصبة. [فنقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق] أى كرم من أجود الأنواع [وبنى برجًا فى وسطه، ونقر فيه أيضًا معصرة. فانتظر أن يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديئًا. والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا، احكموا بينى وبين كرمى. ماذا يُصنع أيضًا لكرمى وأنا لم أصنعه له؟ لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنبًا صنع عنبًا رديئًا؟ فالآن أعرفكم ماذا اصنع بكرمى: أنزع سياجه فيصير للرعى، أهدم جدرانه فيصير للدوس. وأجعله خرابًا لا يُقضب ولا يُنقب، فيطلع شوكٌ وحسكٌ. وأوصى الغيم أن لا يمطر عليه مطرًا.]- أى تنقطع رسالات السماء عن تلك البقعة- [إن كَرمَ رب الجنود هو بيت إسرائيل، وغرس لذَّته رجال يهوذا] الذين آخرهم عيسى عليه السلام [فانتظر حقًا، فإذا سفكُ دمٍ، وعدلًا، فإذا صُراخٌ][أش١:٥-٧].

وذلك مشهد آخر من مشاهد القصة، وشطر متمم ومفسر لما جاء به المثل، فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر إشعياء بالعهد القديم

تحت عنوان: [إنذار لنساء أورشليم] تلك المدينة المقدسة، والذى نصه: [أيتها النساء المطمئنات، قمن اسمعن صوتى، أيتها البنات الواثقات، أصغين لقولى. أيامًا على سنة ترتعدن أيتها الواثقات، لأنه قد مضى القطاف. الاجتناء لا يأتى، ارتجفن أيتها المطمئنات. ارتعدن أيتها الواثقات. تجردن وتعزين وتنطقن على الأحقاء، لاطمات على الثُّدِى من أجل الحقول المشتهاة، من أجل الكرمة المثمرة. على أرض شعبى يطلع شوك وحسك حتى فى كل بيوت الفرح من المدينة المبتهجة. لأن القصر قد هُدم. جمهور المدينة قد تُرك. الأكمة والبرج صارا مغاير إلى الأبد، مرحًا لحمير الوحش، مرعىً للقطعان.] أى صارت مغارات خربة ولن تعمر إلى الأبد. وستظل هذه البقعة أو هذه الكرمة خربة ليس بها رى ذاتى من داخلها [إلى أن يُسكب علينا روحٌ من العلاء]، أى يأتى الفرج بوحى من السماء، أى بدين من السماء، من خارج هذه البقعة... هذا من جهة. ومن جهة أخرى بالرجوع إلى كتب التاريخ(١١٩)، وإلى الخرائط الملحقة بالكتاب المقدس، يتبين أن (العلا) هى (ديدان) الواقعة بشمال أرض الحجاز. وهى إحدى المحطات التجارية على أطراف بادية الشام حيث كانت تستخدمها القوافل التجارية فى رحلاتها بين الشام واليمن.

وهكذا يكون المعنى: ستظل المدينة المقدسة (بيت المقدس) خربة ليس بها رى ذاتى من داخلها إلى الأبد، [إلى أن يُسكب علينا روحٌ من

العلاء] أى إلى أن يأتى الفرج من خارجها بالدين الجديد من جهة أرض الحجاز، ويُسكب عليها [فتصير البرِّية بستانًا، ويحسب البستان وعرًا. فيسكن فى البرِّية (الحق)، و(العدل) فى البستان يقيم. ويكون صنع العدل (سلامًا) وعمل العدل سكونًا وطمأنينة إلى الأبد. ويسكن شعبى من مسكن (السلام). وفى مساكن مطمئنة وفى محلات أمينة، وينزل بَرَدٌ بهبوط الوعر، وإلى الحضيض توضع المدينة. طوباكم أيها الزارعون على كل المياه، المسرِّحون أرجل الثور والحمار][أش٣٢: ٩-٢٠]، والمسرحون هم الرعاة. أى طوباكم ويا لسعادتكم أيها الزارعون الجدد الذين تنتمون إلى البدو والرعاة والذين فى ظلكم وظل دينكم حل (الحق) و(العدل)، وانتشر (السلم) و(السلام). لأنكم لستم بقاتلى الأنبياء ولا من سلالتهم. وطوباكم أيها الزارعون على كل المياه، لأن دينكم يروى بكل مصادر الرى، ويحوى بداخله كل الديانات وينادى بكل ما نادت به كل كتب السماء وأشمل.

ولعل التاريخ خير شاهد على ما تحقق من حق وعدل وسلم وسلام على المدينة المقدسة (بيت المقدس) حين دخول الإسلام إليها فى عهد عمر بن الخطاب وما أبرمه مع أهلها من معاهدة سلمية.

الوقفة العاشرة: مع قوله: [ماذا يفعل صاحب الكرم؟] أى المولى سبحانه، [يعطى الكرم إلى آخرين]. أو كما قال لهم عليه السلام بالمثل

كما جاء بإنجيل متى: [لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره][مت٤٣:٢١]. فكان صدق النبوءة بأن أخذ المولى سبحانه النبوة من بيت إسرائيل– يعقوب بن إسحاق– إلى بيت إسماعيل جد المصطفى محمد عليهم السلام أجمعين، إلى أمة العرب، إلى الأمة المحمدية، التى هى خير أمة أخرجت للناس، والتى تنشر (الحق) و(العدل) المفقودين، وتنشر (السلم) و(السلام) فى ربوع المعمورة، وعلى كل من يستظل بظل دينها الحق.

ومع ذلك، فقد تجد– ممن يحرفون الكلم عن مواضعه ويفسرونه بغير تفسيره– من يكابر ويقول: إن المقصود (بالكرامين الآخرين) فى قوله: [يعطى الكرم إلى آخرين]، أو المقصود (بالأمة) التى [تعمل أثماره] إنهم جماعة من الكهنة والكتبة غير القائمين، أو جماعة من أنصار عيسى وهم تلاميذه وأتباعه، وليس المقصود بهم أمة العرب والمسلمين.

والرد على ذلك فى ثلاث نقاط، **الأولى**: أن المقصود بالكرامين الذين سينزع ملكوت الله منهم ويعطى لغيرهم هم رجال الدين اليهود على إطلاقهم، وليس الراهنين منهم وقت الخطاب. بدليل أن هؤلاء الكرامين– كما جاء بالمثل– رفضوا وقتلوا رسولًا وآخر وثالث... وهكذا كثيرين، طوال عدة قرون. فالمقصود (بالكرامين الآخرين) إذًا ليسوا من اليهود وليسوا من سلالتهم. **والثانية**: أن تلاميذ عيسى الذين أرسلهم لم يرسلهم إلا لبيت إسرائيل، لأنه

أوصاهم قائلًا: [إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة][مت١٠:٥-٦]، ولأنه قال عن نفسه: [لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة][مت١٥:٢٤]. فالآخرين إذًا ليسوا من تلاميذ عيسى. **والثالثة:** أن تلاميذ عيسى وأنصاره وكل رجال الدين التابعين له، ليسوا بالكرامين الآخرين، لأنه قال عليه السلام: [أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام. كل غصن فى لا يأتى بثمر ينزعه... أنا الكرمة وأنتم الأغصان][يو١٥:١-٥]. أى أنهم أغصان الكرمة وليسوا بكرامين. ويستحيل أن يكون الغصن غصنًا وكرامًا فى الوقت نفسه.

فالآخرين إذًا ليسوا سوى أتباع النبى المنتظر، خاتم الأنبياء والمرسلين، أتباع الدين الإسلامى. والأمة إذًا التى تعمل إثماره ليست إلا الأمة الإسلامية.

الوقفة الحادية عشر: مع قوله: [أما قرأتم هذا المكتوب] أو [أما قرأتم قط فى الكتب: الحجر الذى رفضه البناءون...؟]، من الذى رُفض وطُرد من أرض النبوة– أرض فلسطين؟... أليس إسماعيل مع أمه هاجر منذ كان طفلًا صغيرًا؟

قد يقول قائل: لمَ لا يكون الحجر المرفوض الذى [رفضه البناءون] هو عيسى عليه السلام؟ والرد على ذلك بالنفى ومن عدة وجوه:

الوجه الأول: أن الذين رفضوا عيسى هم قتلة الأنبياء كما قال عنهم عيسى نفسه فى الإنجيل، وهم الذين رفضوا ونبذوا كل الأنبياء المرسلين إليهم وحينئذ- لو كانوا هم- لقيل: أنهم رفضوا كل الحجارة، وليس حجرًا واحدًا. **الوجه الثانى**: لو كان اليهود هم (البناءون) ورفضوا حجرًا، لما أعادوه ثانية إلى بناء الأنبياء، ولما صار حجر الزاوية. **الوجه الثالث**: أن (البنائين) لهم مكانة ومنزلة عالية، لا تقل فى سموها عن الحجارة ذاتها، إن لم تزيد وإلا لما أخذوا هذا ورفضوا ذاك.

ثم ارجع أيها القارئ إلى بداية المثل، لتعرف من هو البَّناء الحقيقى... أليس هو صاحب الكرم الذى أقام كرمه [وأحاطه بسياج] أى ببناء؟ وأليس هو بأحسن الخالقين وبديع السماوات والأرض سبحانه وتعالى؟... (فالبناءون) إذًا الذين رفضوا الحجر والمقصود بهم: إبراهيم عليه السلام، وسارة، وإرادة الله وحكمته التى أبعدت هذا الحجر عن تلك البقعة الناقمة، ليوضع فى بيئة أفضل- بأى حال من الأحوال- ليعد للرسالة التى تنتظره. **الوجه الرابع**: ما ستوضحه الوقفة الثالثة عشرة.

الوقفة الثانية عشر: مع ذلك الحجر الذى رفضه البناءون [هو قد صار رأس الزاوية]، قد صار أهم وأعظم حجر فى بناء الأنبياء. هو سيد ولد آدم، وأفضل رسل الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، الذى أخبر

بما أوحى إليه من مشكاة الأنبياء والمرسلين فيما رواه أبو هريرة عنه حيث قال: (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانًا– وفى رواية بنى دارًا– فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[١٢٠].

الوقفة الثالثة عشر: مع قوله: [وهو عجيب فى أعيننا]، والحديث على لسان عيسى عليه السلام، وقال: [فى أعيننا]، ولم يقل: فى أعين الناظرين. أى أنه عليه السلام ضمن الناظرين إلى هذا الحجر، والمعجبين به وبعظم مكانته. فصدق عيسى فى نبوءته (برأس الزاوية) صاحب المكانة الرفيعة خاتم الأنبياء والمرسلين، وصدق محمد ﷺ فى حديثه بأنه (لبنة الزاوية) وأنه خاتم النبيين.

الوقفة الرابعة عشر: مع تكملة المثل فى إنجيلى متى ولوقا: [ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه][مت٤٤:٢١][يو١٨:٢٠]. لأن هذا النبى الخاتم ﷺ هو النبى الحق الذى لا ينطق إلا بالحق، والحق الذى يسحق ويمحو كل باطل، ويترضض بصلابته كل مغرض وحاقد. والذى أقسم المولى بشأن صدقه وتمسكه بالحق فقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلا وَحْى يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾(النجم١: ٦).

- **تعقيب على البشارات:**

وهكذا تقول البشارات:

- إن النبى المنتظر هو من نسل (أخوة بنى إسرائيل)، وليس من بنى إسرائيل.
- إنه النبى (العربى)، لأنه من الديار التى سكنها (قيدار). وقيدار هو إبن إسماعيل – جد العرب وجد المصطفى محمد ﷺ.
- إنه – تحديدًا – ستنجبه أرض (عاقر) لم تنجب قبله أنبياء، ولم تنجب أنبياء سواه... لأن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد وفدا إليها. وإنها أرض بعيدة عن فلسطين، ولكن بعدها هذا أقل من بعد أرض (اليمن) عن فلسطين... إنها مكة المكرمة.
- إنه من نسل (المستوحشة) (هاجر)، لأنها سكنت القفار الموحشة.
- إنه من نسل نبى (أبعد) عن أرض الرسالات أرض فلسطين... وإسماعيل عليه السلام هو الذى أبعد طفلًا عن فلسطين إلى مكة.
- إنه النبى (الأمى)، الذى يبلّغ رسالة ربه (بفمه) لا بالقراءة ولا بالكتابة.
- إنه النبى (الماحى) الذى يمحو الله به الباطل ويحق الحق؛ لأنه

النبى (الحق)، ودينه الدين (الحق) الذى يحوى بداخله كل الديانات، وينادى بكل ما نادت به رسالات السماء وأشمل.

- إنه النبى الذى لم يُرسل كسابقيه، لقومه خاصة، وإنما أرسل (لكل الأرض) وللبشرية جمعاء.
- إنه النبى الذى جاء بدين يكرّم (الإنسان) كل الإنسان، ويكرم بنى آدم بكل أجناسهم، ويرفض التفرقة العنصرية بكل أشكالها. والذى حل بدينه (الحق) و (العدل) وانتشر (السلم) و (السلام).
- إنه (رأس الزاوية) فى بناء الأنبياء.
- إنه (خاتم) الأنبياء والمرسلين.

[إنه محمد بن عبدالله ﷺ خاتم الأنبياء ورسول الإنسانية]

٢- خاتم الأنبياء ورسول الإنسانية فى القرآن الكريم:

إن الآيات والمعجزات التى تؤكد صدق النبوة لمحمد بن عبد الله ﷺ، وصدق رسالته أكثر من أن تعد أو تسرد. منها ما جاء قبل مولده ﷺ، وما صاحب مولده الشريف، وما صاحبه فى مهده، وما جاء بعد ذلك فى صباه وشبابه، وقبل زواجه وبعده، وقبل بدء نزول الوحى عليه وبعده، وفى أثناء هجرته من مكة إلى المدينة وبعدها، وغير ذلك من آيات ومعجزات حسية وغير حسية تدل على أنه النبى المرسل ﷺ.

وهناك العديد من الآيات القرآنية التى تقرر صدق النبوة لمحمد بن عبدالله ﷺ وصدق ما أُرسل به من قبل ربه... ويكفيه شرفًا وتأكيدًا على صدق رسالته ﷺ شهادة مرسله سبحانه وتعالى بأنه رسول الله. حيث قال وقوله الحق:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِّ﴾(الفتح:٢٩)، وقال: ﴿وَاللهُّ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾(المنافقون:١)، وقال سبحانه: ﴿لَّكِنِ اللهُّ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِّ شَهِيدًا﴾ (النساء:١٦٦)، وقال سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِّ شَهِيدًا﴾(النساء:٧٩)، وقال: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِّ شَهِيدًا﴾(الفتح:٢٨).

أما عن عموم الرسالة المحمدية، لتشمل الناس كافة، والبشرية جمعاء، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالآيات كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧)، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾(سبأ:٢٨)، وقوله لرسوله الكريم: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِّ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(الأعراف:١٥٨). وقوله بشأن ختامه للرسالات: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِّ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُّ بِكُلِّ شَىء عَلِيمًا﴾(الأحزاب:٤٠).

وهكذا يؤكد المولى سبحانه بأن الرسالة المحمدية هى: (الرسالة الخاتمة)، و(لكل العالمين)، و(للناس كافة)، و(للناس أجمعين). وهو يحكم بذلك ولا معقب لحكمه، وهو أحكم الحاكمين.

٣- الأدلة العقلية الدالة على صدق نبوته ﷺ:

هناك العديد من الأدلة العقلية التى تؤكد صدق نبوة محمد بن عبد الله ﷺ، والتى يمكن تناول بعضها على النحو التالى:

الدليل الأول: سيرته المشرِّفة قبل النبوة:

فقد شهدت نشأته وسيرته قبل النبوة بأنه كان مثالًا ونموذجًا لمكارم الأخلاق. واتصف ﷺ بالصدق والأمانة حتى سماه معاصروه بالصادق الأمين، وكانوا يودعون أماناتهم عنده، حتى بعد النبوة. وتروى كتب السيرة أنه ﷺ أوكل أمر رد الأمانات إلى أصحابها لعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه، ليلة هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة، كما كانت سيرته عليه السلام طاهرة نقية، فكان عازفًا عن مخالطة قومه فى اللهو والمجون والفسق والخمور والنساء وعبادة الأصنام[١٢١].

أليس فى ذلك دليل على أهليته لحمل الرسالة وصدق نبوته؟

الدليل الثانى: صدقه وإخلاصه فى دعوته وعدم ادعائه النبوَّة:

فقد كان ﷺ صادقًا مخلصًا فى دعوته وتبليغ الوحى عن ربه، برغم ما لاقاه من مشقة وعناء فى سبيل نشر دعوته. فقد أوذى فى سبيل الدعوة مرات ومرات، وقد "حوصر هو وأسرته الشريفة والمؤمنون من بنى هاشم، وحوصروا فى شِعب أبى طالب ثلاث سنوات، جاعوا فيها

جوعًا أكلوا معه ورق الشجر"[١٢٢]. وقال عنه المؤرخ الأمريكى واشنطن أرفنج: بذل عدة تضحيات، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحًا كبيرًا، وتعرض خلال إبلاغ الوحى إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل اضطر إلى أن يترك وطنه الحبيب إلى نفسه ويبحث عن مكان يهاجر إليه، فهاجر من مكة إلى المدينة تاركًا كل ثرواته وأصبح مهاجرًا معدمًا... وحينما وصل ﷺ إلى المدينة المنورة لم يكن يفكر فى القوة العظيمة التى كانت تنتظره، فقد كان تفكيره منصرفًا إلى بناء مسجد يستطيع أن يصلى فيه وينشر به دعوته، وقد كان كل أمله أن ينشر الإسلام فى جو من الهدوء والسلام[١٢٣].

أليس فى إخلاصه هذا الإخلاص وتحمله كل هذه المتاعب فى سبيل الدعوة دليل على صدق نبوته؟

الدليل الثالث: أميته ﷺ:

فقد ثبت أنه نشأ عليه السلام أميًّا بين قوم أميين، ما قرأ كتابًا ولا قال شعرًا، ولا ارتجل خطبة، ولا ترأس قبيلة، ولا انتحل كهانة، ولا عرف شيئًا من شرائع الأمم وأديانها، ولو ثبت عنه شىء من ذلك لنقله أتباعه الذين عنوا برواية كل ما علموه وما سمعوه فى شأنه– قبل النبوة وبعدها– أو لأذاعه أعداؤه ليكون ذريعة لهم فى إنكار نبوته.

وأميته ﷺ من آيات نبوَّته لأن مع هذه الأمية أتى بكتاب، وهو القرآن، عجز كل واحد من البشر، بل عجز العرب فى أوج فصاحتهم وقمة بلاغتهم على أن يأتوا بسورة من مثله، وكان الرسول يتلو هذا القرآن على الناس ويعاود تلاوته عليهم، لا يتغير منه حرف ولا يختلف فى كلمة، ومن المعترف به أن الرجل البليغ إذا ألقى كلامًا مرتجلًا غير مكتوب لا يمكنه أن يعيده كله ولا أكثره بنصه وحرفه، وإن أمكنه أن يعيد كثيرًا من معانيه بعبارات أخرى.

وقد أطلق القرآن الكريم وصف الأمية على الرسول، وهذا ما حكاه الرسول عن ربه على مسمع من العرب أجمعين بما فيهم أتباعه وأعداؤه. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(العنكبوت:٤٨). وحكى الرسول عن ربه أيضًا: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(الأعراف:١٥٧)... سمع العرب- وبينهم قوم من أهل الكتاب- هاتين الآيتين، وغيرهما أيضًا، وكان كثيرًا منهم يناصبونه العداء، فلو كانوا يعلمون أن الرسول يجيد القراءة والكتابة لكان لهم السبيل إلى نفى قوله ولقامت لهم الحجة على تكذيبه فى أوضح برهان[١٢٤].

أليس فى ذلك دليل على صدق نبوته ؟

الدليل الرابع: سموه عن مطامع الدنيا من مال وجاه وسلطان:

لقد كان ﷺ فى دعوته ساميًّا عن مطامع الدنيا وأغراضها، قاصدًا تبليغ رسالة السماء، ولم يكن مرائيًّا فى ذلك... لأن المراءاة لا تكن إلا لغرض، فإن حصل ذلك الغرض، عاجلًا أو آجلًا، ضعفت وشفت عما وراءها من التمويه، لأن نفس المُرائى عادةً لا تكون إلا نفسًا منحطة يستطيرها بارق الأمل وتغريها أمارات النجاح فتنفضح.

فإذا كان ذلك الغرض ماديًّا نراه يتمتع بلوازمه. وقد ثبت أن محمدًا عاش فقيرًا ومات فقيرًا، ولم يصب من الدنيا شيئًا، مع أنها كانت طوع يديه. فلم يفترش الديباج، ولم يكتس الحرير، ولم يتحل بالذهب، وكان بيته على أبسط ما يكون عليه بيت، ولبسه وأهله كلباس أواسط الناس إن لم يكن أقل.

وإذا كان الغرض جاهًا لرأيناه يتقدم الناس إذا مشى، ويأمر بأن تنحنى له الرءوس إذا مرَّ، بل أن يخروا بين يديه سجدًا، وقد ثبت أنه كان ﷺ يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان يمشى وسط أصحابه. وروى عنه أنه خرج مرة على أصحابه متوكئًا على عصا فقاموا له احترامًا وإجلالًا، فقال: (لا تقوموا لى كما تقوم الأعاجم لملوكها، فلست بملك)...

وإذا كانت المراءاة لنيل الملك فقد بلغ الرسول من السلطان والتأثير

على أصحابه بحيث لو أمرهم أن يعاملوه معاملة الرعية لملوكها لفعلوا وزادوا، ولكنه بقى على ما كان عليه فى أول أمره، فلم ينوع مآكله ولم يغير ملابسه، ولم يتخذ له حرسًا ولا حجَّابًا ولم يستبد بأمر. يأتيه الأعرابى فيجذبه من ردائه، ويغلظ له فى القول، فيهم الصحابة بزجره فيمنعهم[١٢٥]. وروى أنه جاءه رجل يرتعد يوم فتح مكة فقال له ﷺ: "هون عليك، فإنى لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد"[١٢٦].

أليس فى ذلك دليل على نبوته؟

الدليل الخامس: انعكاس سلوكه الحسن على أصحابه:

لقد كان ﷺ الأسوة الحسنة مع أصحابه فاقتدوا به وأخذوا عنه وأصبحوا خير تلاميذ لخير معلم. وما كان يومًا من الأيام مرائيًّا... لأن التاريخ دلنا على أن كل صاحب مبدأ له أصحاب مثله. فمن كان من المرائين يكون له أخصاء على شاكلته يعاونونه على نيل بغيته ويشاطرونه المغنم من فضلاته.

وقد دل تاريخ رسول الله ﷺ على أن أخص أصحابه أبابكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، كانوا على شاكلته من الزهد فى الدنيا والتضحية فى سبيل الله، وقد تولوا الخلافة بعده فلم تفتنهم السلطة وتغير حياتهم، بل كانوا خدمًا لمن تولوا شأنهم، يلبسون أقل مما

يلبسون، ويأكلون أدنى مما يأكلون، ويبيتون ركعًا سجدًا لله... وها هن أزواجه كن أمثلة كمال وفضيلة، وعلى غاية من الزهد والصلاح حتى لحقن به... هؤلاء جميعًا كانوا مطلعين على أسراره، ولو ارتابوا فى صدقه لما آمنوا واقتدوا به[١٢٧].

أليس فى ذلك دليل على صدق نبوته؟

الدليل السادس: تحقيقه لرسالة الأنبياء:

حيث جاء ﷺ بما أتى به الرسل من الكمالات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة العبادات... وجاء بشريعة تعد أعدل شريعة ظهرت فى الوجود، لاشتمالها على أصول العدالة المطلقة واحتوائها على مستلزمات الرقى والمدنية. وقد اعترف بهذه الحقيقة الكثير من المستشرقين، منهم على سبيل المثال، جوستاف لوبون الذى اعترف فى كتابه (حضارة العرب) فقال: إن أصول الأخلاق فى القرآن عالية علو ما جاء فى كتب الديانات الأخرى جميعها. ويقول أيضًا: إن مما لا ريب فيه أن محمدًا أصاب فى بلاد العرب نتائج لم تصب قبلها جميع الديانات التى ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية؛ ولذلك لا نرى حدًا لفضل محمد على العرب... كما يقول فى موضع آخر: وإذا ما قيست الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ[١٢٨].

ألا يشهد له ذلك بصدق نبوَّته؟

الدليل السابع: تلقيه الرسالة عن طريق الوحى الإلهى وليس سواه:

فكان وحى السماء يأتيه عن طريق جبريل عليه السلام. والذى كانت تظهر علاماته على الرسول حين نزوله عليه، ثم يتلو بعدها ما نزل عليه من آيات.

وقد قال بعض الحاقدين ومنكرى النبوة: لقد كانت تعتريه نوبات من الصرع والجنون يتحدث بعدها بكلامه المفترى. ولكن تاريخ الطب قديمه وحديثه يؤكد بأن المجنون أو المصروع لا يقول أكثر من مجرد الهذيان الذى لا يفهم منه شيئًا، ثم لا يلبث أن ينساه ولا يتذكر منه شيئًا بعد أن يفيق من نوبته... "فالفرق واضح بين الوحى وبين الأعراض المرضية والنوبات العصبية التى تصفر فيها الوجوه وتبرد الأطراف وتصطك الأسنان وتتكشف العورات ويحتجب نور العقل ويخيم ظلام الجهل... بينما كانت عوارض الوحى مبعث نمو فى قوة البدن، وإشراق فى اللون، وارتفاع فى درجة الحرارة والعرق الكثير، وكانت إلى جانب ذلك مبعث نور لا ظلمة، ومصدر علم لا جهالة، بل كان يجىء معها من العلم والنور ما تخضع العقول لحكمته"[١٢٩]. كان يجىء بآيات من القرآن الحكيم الذى أعجز بلغاء العرب وفصحاءهم أن يأتوا بشىء من مثله.

ومن الشبهات التى أثارها بعض المغرضين حول صدق نبوته ﷺ دعواهم أن محمدًا تعلم القرآن من الراهب بحيرا الساكن فى مدينة بصرى بالشام... والرد على هذا الادعاء الباطل الذى لا يقوم على أى دليل عقلى مقبول، فى النقاط التالية[١٣٠]:

(١) أن ما قررته كتب التاريخ والسيرة خروج محمد إلى الشام مرتين: مرة مع عمه أبى طالب وهو صغير ولم يبلغ مبلغ الرجال. رآه فيها هذا الراهب مع عمه، وذكر لعمه أنه سيكون له شأن عظيم، وحذره من اليهود. ومرة مع ميسرة– وهو عبد لخديجة بنت خويلد– فى تجارة لخديجة وكان له من العمر ٢٥ سنة، إلا أنه لم ينفرد دون ميسرة وسائر تجار قريش لدراسة وغيرها. بل لم يلبثوا إلا أيامًا فى بلدة بصرى باعوا واشتروا وعادوا سريعًا.

(٢) لو كان محمد تلقى شيئًا من المعارف من الراهب بحيرا (أو غيره) لنقل ذلك أتباعه الذين لم يتركوا شاردة ولا واردة من أفعاله إلا ودونوها فى كتب السيرة والأحاديث الشريفة.

(٣) لو ثبت ما يدعون لاتخذه أعداؤه من المشركين شبهة يحتجون بها على أن ما يدعيه من الوحى قد تعلمه فى الشام من النصارى واليهود.

(٤) أن أحكام القرآن وتشريعاته لا يمكن أن تكون مستمدة من

الراهب بحيرا (أو غيره)، لأن القرآن كثيرًا ما يخالف العهدين القديم والجديد فيما يذكران من الحوادث التاريخية والدينية.

(٥) أن القرآن الكريم نزلت آياته حسب الحوادث والوقائع، وكانت مدة الإنزال ثلاثًا وعشرين سنة. فلم يأتى محمد بالقرآن جملة واحدة كالكتب المتعارف عليها ينكب الأديب عليها فترة من الزمن ثم يقدمها للقراء بعد التنقيح وإمعان الفكر.

(٦) أن الراهب بحيرا كان بالشام ومحمد موطنه الحجاز، والتعليم لا يتم فى السر ولا فى جلسة واحدة أو جلسات. بل لا يتم إلا إذا اختلف المتعلم إلى المعلم أزمنة متطاولة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر بين العرب أن محمدًا تعلم العلوم من فلان، وهذا مما لم يثبت تاريخيًّا.

(٧) أن الراهب بحيرا ليس من بلغاء العرب وفصائحهم. فمن أين مصدر هذه البلاغة القرآنية التى فاقت جميع بلاغة العرب، والتى تحدى القرآن بها جميع البلغاء وعجزوا عن محاكاتها؟

(٨) إذا كان الراهب بحيرا (أو غيره) فى هذه المنزلة العظيمة من المعارف فلماذا لم يفاجئ بها عصره ويحصل على الشهرة والجاه والمنزلة الرفيعة فى قومه. ثم ماذا كان يمنعه بعد نجاح محمد أن يدعى (هو أو غيره) هذا الفضل عليه.

وهكذا بعد بطلان دعوى القائلين بأن القرآن ليس بوحى إلهى،

وأن الرسول تعلمه من أحد الرهبان، وأنه كانت تعتريه نوبات من الصرع والجنون... ألا يكون ذلك دليلًا على نزول الرسالة بوحى إلهى، ودليلًا على صدق نبوته ﷺ؟

الدليل الثامن: انتشار دعوته ﷺ رغم معارضة قومه لها:

لقد اصطدمت دعوة الرسول ﷺ للإسلام بأسرته وقبيلته، وجرَّ بها على نفسه عداءها. فقد كان تركُ وتحطيم الأوثان يقضى على سيطرة قريش على الكعبة وما تستفيده من قدوم الحجاج. ومن أقرب قومه إليه عمه أبوطالب الذى رباه، لم يؤمن به، وعمه أبولهب الذى كان سيدًا مطاعًا فى قومه، لم يؤمن به، بل كان رأسًا للكفر ومن ألد أعداء رسول الله. ولله فى ذلك حكمة، حتى لا يقال: إنما قامت دعوة محمد بسبب مؤازرة قومه له... وبرغم عدم إيمان قومه به، ومناصبتهم له العداء، حتى ترك لهم أحب البلاد إلى نفسه مهاجرًا إلى المدينة... برغم ذلك إلا أن دعوته ﷺ قامت وانتشرت.

أليس ذلك دليلًا على صدق نبوته ﷺ ؟

الدليل التاسع: تمايز الأسلوب القرآنى عن أسلوبى الحديث القدسى والحديث النبوى:

فمن المعروف أن لكل كاتب أسلوبه المعروف فى الكتابة ومستواه

البلاغى الذى لا يتغير من موقف لآخر أو من مقال لآخر. ولكن القارئ العادى والذى يملك أدنى مستوى من بلاغيات اللغة العربية ليدرك الفرق الجلى فى المستوى البلاغى بين كل من القرآن الكريم والحديث القدسى والحديث النبوى، رغم خروجها جميعًا على لسانه ﷺ. فلو كان القرآن الكريم من اختلاقه وتأليفه لما اختلف فى أسلوبه عن أسلوب أحاديث رسول الله.

أليس ذلك دليلًا على صدق نبوته ﷺ؟

الدليل العاشر: أمانة التبليغ عن ربه:

حيث لم يلوِ ﷺ الآيات لأغراض شخصية أو لمطامع ذاتية. ولم يحجب الآيات التى فيها عتاب إليه من قِبَل الرب سبحانه فى بعض المواقف[١٣١]. بل حتى كلمة (قل) كان أمينًا فى التبليغ عن ربه وذكرها فى مواضعها، سواء جاءت فى معرض السور أو فى مطالعها.

أليست أمانته هذه دليلًا على صدق نبوته ﷺ؟

الدليل الحادى عشر: عظم إصلاحاته التى حققها فى قومه وأمته:

فقد تمت على يديه ﷺ حوادث ضخمة وإصلاحات عظيمة، لا يعقل أن تتم إلا فى خلال آماد طويلة وعقب تطورات متتالية. منها: توحيد الأمة العربية بعد أن كانت قبائل لا تجمعها جامعة، ولا تؤلف بين عناصرها وحدة. ومنها قضاؤه على وثنية كانت متوارثة منذ آماد

طويلة وإحلاله محلها دينًا سماويًّا يرفع الإنسان إلى أعلى مراتب السمو. ومنها: إحداثه إصلاحًا اجتماعيًّا قلب أخلاق العرب من جاهلية جهلاء وما تشتمل عليه من ضياع حقوق المستضعفين والانغماس فى الشهوات الجسدية إلى تحقيق العدالة الاجتماعية غير مفرقة بين الضعفاء والأقوياء.

وعمل (واحد) من هذه الأعمال كفيل بأن يرفع صاحبه إلى درجة عالية، قلَّ أن يبلغها غيره، وتجعل له اسمًا خالدًا بين عظماء التاريخ. فما ظنك وقد تمت كلها على يد رجل واحد وهو محمد ﷺ[١٣٢].

أليس ذلك دليلًا على أنه مؤيد بوحى السماء؟

الدليل الثانى عشر: معجزته الخالدة القرآن الكريم:

إذ "ليس لنبى معجزة باقية سواه ﷺ"[١٣٣]. تلك المعجزة التى تحدى بها الخالق سبحانه فصحاء العرب فى بلاغتهم، وأهل الكتاب فى ذكر مناهجهم وقصص رسلهم، وكان لا بد أن يكون الإعجاز للكافرين من العرب ومن غير العرب، كما أن له فى كل عصر معجزة[١٣٤].

تلك المعجزة التى تحدى بها الخالق سبحانه فصحاء العرب وبلغاءهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن- فى بدء التحدى. ثم نزل التحدى بأن يأتوا بعشر سور مثله. فلم يستطيعوا. ثم تحداهم بسورة واحدة فلم يفعلوا.

إن تقليل الأشياء المتحدى بها والتدرج بها من الكثرة إلى القلة هو إمعان فى التحدى، ووثوق بأنهم لم يصلوا إلى مواجهة التحدى مهما ضعف المطلوب منهم. ولو أن هذا القرآن من عند رسول الله ﷺ ما نزل التحدى إلى سورة، لأنه مادام الرسول ﷺ منهم، ويقول مثل هذا الكلام المعجز، فكيف يأمن ألا يكون هناك واحد منهم قادرًا على أن يقول مثله؟

إذًا فالإصرار على التحدى، وتخفيف المطلوب، معناه وثوق فى عجز أولئك المقصودين بالتحدى... وهذا لا يكون إلا لأن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى[١٣٥].

القرآن الكريم لم يقتصر على معجزة اللغة وتحدى العرب بكل فصاحتهم وبلاغتهم، بل جاء بمعجزات لغير العرب... فواجه أهل الكتاب بما حدث منهم مع أنبيائهم، وواجههم بأن الله سبحانه وتعالى طلب منهم فى التوراة والإنجيل أن يؤمنوا بالنبى الأمى. وذكر لهم أوصافه. وهذا ما لم يكن يعرفه أحد من العرب. فمن أين جاء به رسول الله ﷺ إلا أن يكون من عند الله؟

معجزة أخرى موجهة لأهل الكتاب، لكى يسألوا أنفسهم: من أين جاء محمد ﷺ بقصص الرسل السابقين، وبأشياء لم يكن يعلمها هو ولا قومه. ولو أن أحد من قومه علمها لقال الكفار والمنافقون الذين كانوا

يحاولون هدم هذا الدين: لقد كنا نعلم هذا، ولكن كون أنهم لم يقولوها، دليل على أنها موحى بها من الله سبحانه وتعالى ولا يعلمها أحد من العرب[١٣٦].

كما كان القرآن الكريم إعجازًا للكافرين من العرب وقت نزول القرآن... فهذا أبو لهب عم رسول الله ﷺ وأشد المحاربين لهذا الدين، نزلت فيه السورة الكريمة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾(المسد:١- ٥). فالسورة قالت: إن أبا لهب سيموت كافرًا، وسيدخل النار. ماذا كان يمكن أن يحدث لقضية الإيمان كله لو أن أبا لهب جمع كفار قريش، وقال لهم: إن محمدًا قد قال عنى كلامًا.. يقول: إنه منزل عليه من الله تعالى أنى سأموت كافرًا وسأدخل النار. وأنا أقول لكم وأمامكم: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. لتعرفوا أن هذا الكلام الذى قاله محمد ليس من عند الله.

ماذا لو نطق الشهادتين رياءً ونفاقًا ليهدم قضية الدين كله؟ ألم يكن هناك فى ذلك الوقت كفار دخلوا الإسلام بعد ذلك وحسن إسلامهم، مثل: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبى جهل؟ هل كان يضمن محمد ﷺ أن أبا جهل لن يسلم، ولن يحسن إسلامه كما حدث بالنسبة للباقين؟... ولكن لأن الله هو القائل، والله هو الفاعل،

لم يدُر بخاطر أبى لهب أن يستخدم هذه القضية فى هدم الإسلام الذى كان يتمنى أن يهدمه. ومات أبو لهب كافرًا، كما قرر القرآن، على مسمع منه[١٣٧]. وفى ذلك يقول القرطبى: "والحكم ببقاء أبى لهب وامرأته فى النار مشروط ببقائهما على الكفر إلى الموافاة. فلما مات على الكفر صدق الإخبار عنهما، وفيه معجزة للنبى ﷺ"[١٣٨]. فلو لم يمت أبو لهب وزوجته على الكفر لقيل: بعدم صدق القرآن والنبوة.

أما بالنسبة للكفار من غير العرب وقت نزول القرآن فقد كان لهم معجزة أيضًا. فقد كان أكبر دولتين فى ذلك الوقت الروم والفرس. ووقعت حرب بينهما، وهُزمت الروم. وكانت الروم أهل كتاب، والفرس كانوا كافرين. وإذا بالقرآن الكريم ينزل فى سورة الروم: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾(الروم:١-٤).

من الذى يستطيع أن يتنبأ بنتيجة حرب ستقع بعد تسع سنوات؟ وما الذى كان يضمن أنه خلال هذه السنوات التسع لن يحدث صلح بين الروم والفرس. فلا تقع بينهما حرب، أو تقع الحرب مرة أخرى ويهزم الروم أيضًا؟ ولو أن نتيجة الحرب قد تغيرت، وهُزمت الروم مرة أخرى.. أكنا نستطيع أن نقرأ فى صلواتنا هذه السورة الكريمة، والتاريخ يقول: إن الروم قد هُزمت مرتين؟

ولكن لأن الله تعالى هو القائل وهو الفاعل جاءت نتيجة المعركة كما أنبأ بها القرآن الكريم، قبل تسع سنين. وكانت هذه معجزة لو تأمل فيه الفرس وهم كافرون ووجدوا أن القرآن قد تنبأ بهزيمتهم قبل أن تقع الحرب بتسع سنين.. أفلم يكونوا يؤمنون؟... أليس هذا دليلًا كافيًا وإعجازًا بأن القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى[١٣٩].

ولم يقف إعجاز القرآن الكريم عند عصر نزوله. ولأنه الدين الخاتم، كان له فى كل عصر معجزة. وإذا قرأت الآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(فصلت:٥٣)، لعرفت أن القرآن الكريم جاء بآيات كونية تكشف عن إعجاز لكل البشر.

فالقرآن الكريم، تلك المعجزة الخالدة، قد حوى حقائق علمية، وأشار إلى وقائع أيدتها الاكتشافات العلمية، مثل: نشأة الحياة، والإنسان وأطوار خلقه، وحقائق عن الكون، وعن الريح، والسحاب، وعن حركة الأرض ودورانها، والإشارة إلى طبقات الأرض (الجيولوجيا)، والإشارة إلى الجاذبية، ولغة الحيوانات، والأحياء، وحول ما يدعى بالتطور، والإشارة إلى ازدواجية المادة، وإلى عدم فنائها، والإشارة إلى ما عرف بالتسجيل الكهرطيسى، وإلى الذبذبات الصوتية، والرؤية عن بعد (التلسكوب) وما يشبه الصواريخ ومركبات الفضاء، والإشارة إلى الكيمياء، وإلى الذرة وما

هو أصغر منها، وإلى ما يمكن أن يكون انفجارات، وإلى الغلاف الجوى، والضغط الجوى، وغزو الفضاء[١٤٠]. وإلى المغناطيسية والطاقة الكهربية، والصوت القاتل، والسرعة الكونية العظمى، وعن رسم خريطة للمخ البشرى[١٤١]. ونقص الأكسيجين فى الارتفاعات، واختلاف بصمات الأصابع بين البشر[١٤٢]. إلى غير ذلك مما أثبتته وتثبته الأبحاث والاكتشافات العلمية على مر الأيام، بما يؤكد صدق ما جاء بالقرآن الكريم وصدق النبوة.

الدليل الثالث عشر: شهادة التاريخ بصدق رسالته ﷺ:

إن التاريخ ليشهد بصدق الرسالة المحمدية، وختام صاحبها للأنبياء والمرسلين. إذ لم يظهر على مدار الأربعة عشر قرنًا من الزمان أى نبى أو رسول، حتى ولو ادعى المدعون– أمثال مسيلمة الكذاب أو غيره– فلم تثبت ادعاءاتهم وافتراءاتهم شيئًا أمام نور الحقيقة وشمسها الساطعة... أليس فى استمرار رسالة الإسلام منذ ظهوره وحتى الآن، وزيادة معتنقيه، دليل على صدق الرسالة (آخر الرسالات)، وصدق المرسل بها (خاتم الأنبياء والمرسلين)؟

وبعد، "نظرًا لنسخ جميع شرائع الرسل السابقين بشريعة خاتمهم محمد ﷺ فإنه لم يبق هناك ما يلزم المؤمن إزاء أولئك الرسل سوى الإيمان بهم والاعتقاد فى عصمتهم وكمالهم، ووجوب تعظيمهم واحترامهم"[١٤٣].

والقرآن يدعو إلى الإيمان بهؤلاء الرسل جميعًا وبخاتمهم محمد ﷺ، ويصرح بأن من يؤمن ببعض المرسلين ويكفر ببعض لا يقبل منه دين. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(النساء:١٥٠-١٥٢).

فالإسلام بنص هذه الآيات وضع أساسًا للتعارف والإخاء والوحدة بين شعوب الأرض، لأن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين سهل تفاهمهم على ما عسى أن يبقى بينهم من الخلاف(١٤٤).

ومن ثم، فالمربون كل المربين: فى البيت، والمدرسة، وكل المؤسسات التعليمية، وفى دور العبادة، وفى وسائل الإعلام، وكل المؤسسات التربوية مأمورون بالدعوة إلى الإيمان بكل الرسل ومحبتهم جميعًا وعدم التفرقة بينهم، ومأمورون بانتهاج تربية تقوم على هذا الأساس العقائدى، ومستمدة من دين الله الذى ارتضاه لعباده.

٤- ترسيخ محبته ﷺ:

إن محبة رسول الله ﷺ من الإيمان. بل لا يؤمن الإنسان حتى يكون حبه لرسول الله ﷺ أكثر من حبه لنفسه ووالده وولده، مصداقًا لقوله

ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة حيث قال: (فو الذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده). وعن أنس عن النبى أنه قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[١٤٥].

ومحبته ﷺ إنما تكون بطاعته وإتيان ما أمر، واجتناب ما نهى، والتمسك بسنته، والتأسى بأخلاقه ﷺ، امتثالًا لتوجيه المولى سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(الأحزاب:٢١). وقد قرن المولى سبحانه الاقتداء برسوله الكريم بجانب من جوانب العقيدة، وهو الإيمان بلقاء الله فى اليوم الآخر، وقيل: مع الرجاء لثواب الله فى اليوم الآخر[١٤٦].

ومن محبته الدعوة إلى الإيمان به وبعموم رسالته. و"الإيمان بعموم الرسالة المحمدية يقتضى وجوب الدعوة إليها ما استطاع المؤمنون بها إلى ذلك سبيلًا، حتى لا يكون أمام أى مكلف عذر فى أن هذه الرسالة لم تبلغه، وفى هذه الحالة لا يكون مسئولًا وإنما يُسأل من آمن بالإسلام وقصر فى تبليغه"[١٤٧].

ومن محبته ﷺ الدعاء له والصلاة عليه، امتثالًا لأمر المولى سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(الأحزاب:٥٦).

كما أن من محبته الدفاع عنه والرد على المغرضين والحاقدين الذين يريدون التشكيك فى نبوَّته أو النيل من قدره وعصمته. بل ومن محبته الدعوة إلى محبته، بذكر فضائله وشمائله، وبالدعوة للتمسك بسنته والتأسى بأخلاقه.

ثالثًا: ثمرات الإيمان برسل الله عامة وبخاتمهم محمد ﷺ خاصة

للإيمان برسل الله ثمرات جليلة، منها:

١- العلم برحمة الله تعالى بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل، ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ويبين لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشرى لا يستقل بمعرفة ذلك. قال تعالى عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[مريم:٥٠]. وقال سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[مريم:٢١]. وقال سبحانه عن محمدﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

٢- شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى، بأن أرسل رسله لهداية البشرية.

٣- محبة الرسل عليهم الصلات والسلام وتعظيمهم والثناء

عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته، والنصح لعباده[١٤٨].

٤- وجود القدوة الحسنة فى شخصياتهم، للاقتداء بهم والسير على نهجهم، ولاسيما فى الاقتداء بخير قدوة محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب:٢١].

٥- تحقيق الاطمئنان والراحة النفسية، للسير على خطاهم لسلامة منهجهم.

٦- تحقيق الأخوة الإنسانية، وتحقيق الأمن والأمان والسلم والسلام والعيش فى محبة وإخاء، لأنهم رسل المحبة والإخاء، ولأن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين سهل تفاهمهم على ما عسى أن يبقى بينهم من الخلاف.

رابعًا: تربية الأبناء على الإيمان برسل الله عامة وبخاتمهم محمد ﷺ خاصة

يمكن تربية الأبناء على الإيمان برسل الله عامة وبخاتمهم محمد ﷺ خاصة من خلال مجموعة من الإجراءات، موجزة كما يلى:

١- التأكيد على الإيمان برسل الله بالأدلة النقلية، من القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الإشارة إلى ما جاء فى ذلك بالكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل...

٢- التعريف ببشارات الأنبياء وبخاتمهم محمد ﷺ، كما جاءت بالكتب السماوية السابقة، وكما أكدها القرآن الكريم.

٣- التأكيد على الإيمان برسل الله بالأدلة العقلية وحاجة البشرية إليهم لهدايتها. مع التأكيد بالأدلة العقلية على صدق خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وصدق رسالته.

٤- الإيمان بأن رسالات المرسلين جميعًا حق ومن عند الله تعالى. فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بهم جميعًا ولا يقبل منه دين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

٥- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح، عليهم الصلاة والسلام. وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل. أما ما لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالًا، من ورد ذكر اسمه فى القرآن ومن لم يرد ذكره. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر:٧٨].

٦- تصديق ما صح عنهم من أخبارهم، مع اليقين بعصمتهم عن المعاصى.

٧- العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ،

المرسل إلى كل العالمين[١٤٩]. وإتيان ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والتمسك بسنته والتأسى بأخلاقهﷺ.

٨- تعليم الأبناء ثمرات الإيمان برسل الله عامة، وبخاتمهم محمدﷺ خاصة.

٩- تعليمهم قصص الأنبياء، وما لاقوه من مشقة وعناء فى سبيل تبليغ دعوتهم. وحث الأبناء على الاعتبار من قصص الأنبياء والتأسى بهم.

١٠- الدعوة إلى الإيمان بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وبعموم رسالته لكل العالمين... وتأديب الأبناء- منذ نعومة أظافرهم - على حب رسول الله ﷺ وحب آل بيته، لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن النبى ﷺ قال: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن...)[١٥٠]. فمحبة رسول اللهﷺ ومحبة آل بيته من الإيمان.

١١- التأكيد على أخوة كل الأنبياء والمرسلين، لأنهم جميعًا رسل لإله واحد، لا شريك له، بكل منهم جاء برسالة حسبما كلفه الله تعالى، إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة على الرسول الخاتم. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح:٢٨]. وقال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن

رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيء عَلِيمًا﴾[الأحزاب:٤٠].

١٢- الدفاع عن كل الأنبياء والمرسلين عامة، وعن خاتمهم محمدﷺ خاصة، والرد على المغرضين والحاقدين الذين يريدون التشكيك فى نبوته ورسالته وأولئك الذين يوجهون الإهانات إليه ﷺ.

obeikandl.com

هوامش الفصل الخامس

(١٠٥) محمد بن سليمان الأشعر: مرجع سابق، ص٧٠.

(١٠٦) أبو بكر جابر الجزائرى: مرجع سابق، ص١٦٠.

(١٠٧) ذكر آدم فى (آل عمران:٣٣)، وإدريس وذو الكفل فى (الأنبياء:٨٥) وهود فى (هود:٥٠)، وصالح فى (الأعراف:٧٣) وشعيب فى (الأعراف:٨٥) ومحمد فى (الأحزاب:٤٠).

(١٠٨) ابن كثير: **قصص الأنبياء**، القاهرة، دار المنار، ط٢، د٠ ت، ص٥١.

(١٠٩) المرجع السابق، ص١٠٢.

(١١٠) المرجع السابق، ص١٣٤.

(١١١) المرجع السابق، ص ص١٣٤–١٣٥.

(١١٢) الطبرى: **تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك)**، جـ١، القاهرة، دار المعارف، طـ٤، ١٩٧٩، ص٣١١.

(١١٣) المرجع السابق، ص٣٢٤.

(١١٤) المرجع السابق، ص٣٢٥.

(١١٥) ابن كثير: **قصص الأنبياء**، تحقيق محمد عبدالملك الزغبى، القاهرة، دار المنار، ط٢، ١٩٩٦، ص ص١٥٨-١٥٩.

(١١٦) إبراهيم أحمد العدوى: **التاريخ الإسلامى آفاقه السياسة وأبعاده الحضارية**، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م، ص١٣١.

(١١٧) معجم الكلمات الصعبة- ملحق بالكتاب المقدس، ص ص٥١،٥٠.

(١١٨) ابن كثير: مرجع سابق، ص١٣٥.

(١١٩) إبراهيم أحمد العدوى: مرجع سابق، ص٢٤.

(١٢٠) البخارى (٣٢٧١)، مسلم (٢٢٨٦).

(١٢١) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص٥٤٦.

(١٢٢) أبو بكر جابر الجزائرى: مرجع سابق، ١٦٥.

(١٢٣) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص ص٤٥٢-٤٥٣.

(١٢٤) المرجع السابق، ص ص٤٤٩-٤٥٠.

(١٢٥) المرجع السابق: ص ص٤٥١-٤٥٢.

(١٢٦) ابن كثير: **سيرة ابن كثير**، جـ٣، صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة.

(١٢٧) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص ٤٥٣.

(١٢٨) المرجع السابق، ص ص ٤٥٤- ٤٥٥.

(١٢٩) أحمد نصرى: "منهج المستشرقين فى دراسة السيرة النبوية"، **الوعى الإسلامى**، ع ٤٦٣، السنة ٤١، ربيع الأول ١٤٢٥هـ- ابريل/ مايو٢٠٠٤م، ص ٢٤.

(١٣٠) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص ص٤٤٨- ٤٤٩.

(١٣١) ارجع إلى: (الأنفال: ٦٧، ٦٨). (التوبة: ٤٣، ١١٣، ١١٤). (الأحزاب: ٣٧)، (التحريم: ١)، (عبس: ١ -١١).

(١٣٢) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص ٤٤٦.

(١٣٣) الغزالى: **إحياء علوم الدين**، جـ٢، القاهرة، دار المنار، د ٠ ت، ص ٥٧٨.

(١٣٤) محمد متولى الشعراوى: مرجع سابق، ص ص٣٢، ٣٨.

(١٣٥) المرجع السابق، ص٢٨.

(١٣٦) المرجع السابق، ص ص٣٠-٣١.

(١٣٧) المرجع السابق، ص١٣٣.

(١٣٨) القرطبى: **تفسير القرطبى**، جـ١٠، القاهرة، دار الريان للتراث، د٠ ت، ص٧٣٣٣.

(١٣٩) محمد متولى الشعراوى، ص ص٣٤-٣٥.

(١٤٠) محمد حسن الحمصى: مرجع سابق، ص ص٢٦٩-٢٧٠، من فهارس المواضيع والألفاظ.

(١٤١) جامعة جنوب الوادى: **أعمال الندوة الثالثة: الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، ٣٠ أكتوبر- ١ نوفمبر ١٩٩٥م**، قنا، مطابع جامعة جنوب الوادى، طبعة ١٩٩٨م، ص ص٧٤-١٢٩.

(١٤٢) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص ص ٥٥، ٦٣.

(١٤٣) أبو بكر جابر الجزائرى: مرجع سابق، ص١٦١.

(١٤٤) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٤٧.

(١٤٥) البخارى (١٣)، (١٤).

(١٤٦) القرطبى: **تفسير القرطبى**، جـ٨، القاهرة، دار الريان للتراث، د٠ ت، ص ٥٢٣٨.

(١٤٧) محمد الدسوقى: مرجع سابق، ص ص٢٥-٢٦.

(١٤٨) أحمد مصطفى متولى: مرجع سابق، ص ص١٠٨-١٠٩.

(١٤٩) المرجع السابق، ص١٠٨.

(١٥٠) رواه الطبرانى. فى: عبدالله ناصح علوان، مرجع سابق، ص١١٩.